هدى عبدالله آل بدر

مقعد
على ضفاف الكينغز بارك

رواية



هدى عبدالله آل بدر

مقعد

على ضفاف الكينغز بارك

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل بدر ، هدى عبدالله عيسى
مقعد على ضفاف الكينغز بارك. / هدى عبدالله عيسى آل بدر .- القطيف ، ١٤٣٤هـ
..ص ؛ ..سم
ردمك: ٢-١٤١٢-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١- القصص العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٨١٣,٣٩٥٣١ ١٤٣٤/٩٧٥

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٩٧٥
ردمك: ٢-١٤١٢-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

أطيـــاف للنشـــر والتـــوزيـــع
هاتف / فاكس : ٨٥٤٩٥٤٥ (٣) ٩٦٦ +
جـــوال : ٠٥٠٥٨٦٨٧٧١ - ٩٦٦ +
القـــطيف - شـــارع القـــدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيـــف ٣١٩١١
المملـــكة العربيـــة السعوديـــة
E-mail : atyaf-pd@hotmail.com

الإهداء

إليكَ أنتَ . . .

يا من كتبتَ لي يوماً في راحة كفّيّ الغياب

« أنتِ أو لا أحـد »

رسالة الى لارا ......

صديقتي لارا .....
للأطياف قدرة غريبة على عبور المساحات الممتدة ما بين القارات
......فقد أصبحت تتجولين في أكثر دهاليز مخيلتي السرية . .....
..صرت أحترف طقوس استحضارك ......
.استحضار طيفك .....
.تحت طيات سكون الظلام .....
وعلى وسائد الحنين الليلي ....أفتح أقفال مخيلتي ..
.لتخرجي من مخبئك فيها ....تأتي بجموح تحت ضوء القمر.
..تستحضرك لتنامي على سرير أحزاني....
. لتلتحفين ذاكرتي .....وكجرعة اشتياق ....
نثرت عليه رذاذ عطر وجعي ..
.تصوري بأنني رجل ....
تشعر الغربة بالغرابة وهي تسكن معلقة على جدران قلبه .....
.قرأت اليوم مقولة لمارتن لوثر كينغ (لا يستطيع أحد ركوب ظهرك إلا إذا انحنيت)
ويبدو لي بأنني انحيت كثيرا للحزن الى درجة أنه احترف امتطائي ....

صديقتي لارا ...
أذا فرقتنا الأيام .....
وشاء القدر أن نلتقي يوما ...
فتأكدي بأنني سأغرم بك مرة أخرى .
.لأنني في كل المرات التي التقيتك فيها......
شعرت بأنني أنزلق في حبك بطرق مختلفة ...
فهنالك أشخاص قد خلقو لأجلنا ....
..وعند أرصفة كل المحطات . ...
..نراهم واقفين بانتظارنا ...
مند اللحظة التي نهم فيها بمغادرة مقاعدنا من قطارات .....
.قد أدمنا السفر فيها ....

ما بين كذبة وكذبة حقيقة ..وما بين حقيقة وحقيقة ....كذبة ......ولهذا قررت أن أخط في دفترك الصغير كمعاهدة صلح ما بين الكذب والحقيقة علني أستطيع أن اقف في المنتصف لأفصل فيما بينهما ....كنت أمسك بدفترك الصغير وأتذكر دموعي على ضفاف حزنك عندما كنا بجوار بحيرة سوان (البجع) ...تصور! ...بأنني كنت أبكي حزنك .....فقد ....كنت أغار عليك من حزن خفت أن يستفرد بك فقررت المكوث بينكما ......وأنا أستجدي منك حقيقة كانت بحوزتي ...أتذكر ما قلته لي يوما .. لا تلهثي وراء حقيقة أوصدت الباب بغضب خلفها فيوم ما ستأتي أليك وهي ممتنة لأنك تفضلت وفتحت لها نوافذ قلبك ..فالحقيقة لا تملك قدمين .....أنها تطوف بأجنحة زجاجية شفافة ...ولهذا يكون تغافلها أفضل الفخاخ لاصطيادها ...ولكني تيقنت الأن .....من أن أكثر حقيقة مثيرة للاشمئزاز هي تلك التي تظهر بعد فوات الأوان ..أي عندما يصبح ظهورها لا يشكل وزن في أية كفة من ميزان الحيرة والتساؤلات ...كنت أستجدي اعترافك لي بأنك احببتني ..بينما كانت عيناك تقول ....أحبك ..وأكثر ....أنت تعلم .بأن غياب الأخر بتفاصيله يجعله يحضر بكثافة في مخيلتنا ..وأنا قد أدمنت المشي على نفس الارصفة التي كانت تحتضننا أمطارها ..والجلوس على نفس المقعد المترامي على ضفاف الكينغز بارك (حديقة الملوك) ...ألتمس أطيافك المضيئة ...أتصدق؟ بأنها تحمل هالتك المكابرة بموجات كبرياء شرقي حادة في زاويا ترددها ....كنت أستجديها للبقاء ...ولكنها تلوذ بالفرار ...تصور بأن امرأة مكابرة مثلي ..قد أدمنت ملاحقة طيف رجل مكابر مثلك ...غريب هو تجاذب المتشابهات ..ألم أخبرك بأنك تعيد صياغة كل شيء حولي ....فحتى قوانين الجاذبية صارت على مقاييسك... أنت ...

الفصل الأول ــ

كانت الخيبة أن تكتشف بأن من كنت تحبه كان صورة من ألأنت المزيفة ، أو مجرد عدة صور نسجتها مخيلتك .

فنحن نظن بأن الآّخر هو وحيد فريد واستثنائي ، ولكن الحقيقة هي بأنه عدد فردي عادي لا يتعدى كونه قد تزامن مروره في حياتنا مع مرور حزمة من الصدف .
كان هو عاديا ومتماديا في عاديته ولكنه كان يجيد عزف أنغام حياته على سلم موسيقى الشعر والكتابة ، وكانت هي أيضا عادية ومنتبه لهذه الاعتيادية ، وبالنسبة لرجل تطأ قدماه الأرض الخصبة بالفضول لقلب فتاة قاحل من التجارب كان وضعا عاديا في مجتمعهم.

ولأنها ربما كانت تريد كسر الاعتيادي قررت المضي قدماً معه والانطلاق في حياة مجهولة التفاصيل وغريبة الديار بالرغم من ارتكازها على علاقة موثقة وشرعية اسمها الزواج .
وهو كل ما كان يتمناه امرأة بلباس زوجة تكون له وعاء، و حاضرة له فقط .

.فكر وهو يجتر أفكاره بقلمه ...

((كم هو مخيف ما تفعله بنا الكتابة فهي تضعنا امام مرآة الحقيقة فلا يوجد شيء في تلك الصورة المنعكسة لا يشبهنا ولا علاقة له بماضينا .. مخيفة هي الكتابة عندما تكون حاجة ملحة لتفريغ خزائن ذاكرتنا وتجريدها من آخر أوشحتنا الفكرية ...مخيفة هي الكتابة عندما تكون قارتنا الوحيدة التي لا نملك الا الابحار اليها)).

هو لا يملك الا شيئان ليقول لها أحبك الصمت ..اداة الرجل الأولى والقلم اداة الصامتين والنازفين فكرة وصديد من الألم .
فكرة واحدة وإحساس وحيد كانت هي الإشكالية بالنسبة له هاجس التملك تصرخ به نرجسية رجلاً شرقي اعتاد قولبة الأمور بالهوامش العصرية وهدف وحيد منذ البداية وهو الوصول إلى قلبها و الاستيلاء عليه مردداً لنفسه المرأة قلعة حصينة إن سقط قلبها سقطت ، وكل ما كان يستحوذ على تفكير أي رجل يهوى امرأة هو اصطياد قلبها ووضعه في بئر التملك ، واحكام أغلاقه بصخرة الطاعة والحقوق

.ـــ

ربما تكون ردة فعل الرجال في كونهم أحبو، أو ربما طريقتهم ليحموا به كبرياء ضخمته مورثاتهم .

منتبه لنهاية نشرة الأخبار ومستفيق من نشوة أفكاره وسرحانه الغيبوبي في حزمة مشاعره ،مرت هي منتهى بجانبه تحمل في يديها فنجان قهوة وحيد ورائحته تلف أرجاء المكان كم يحبها عندما تعبر الغرفة صامته في شرودها ..

قال لها مُداعباً:

- أين قهوتي يا وجعي؟؟

مصطنعة الا مبالاة ، طافت عيناها فوق رأسه وعبرت الغرفة مسرعةً للخارج !!
ماراً بخيالها شريط ذكرياتها ..كانت تفكر في نفسها :

((كم كانت تحبه ..كان الرجل الأول في حياتها ،كان هو من نثر بدور العشق في روحها العذراء ، وكان هو أول من علمها ما معنى أن تضع كرامتك تحت حذائك لأجل شخص تعشقه كم هو مؤلم ما نتعلمه على يد من نحب ، الا يجدي بأن تكون الأشياء الجميلة هي فقط ما ينبته ُالحب ، أنه فقط لذة زخم الرغبات المباغتة وانتفاض الخلايا العصبية بموجة من الرعشات ولكن كل ما يأتي بعده شيء لا يستحق الوقوف والإنصات لثرثرته .))

كان كل ما فيها يتحداه ويعشقه، كانت تجتر أفكارها وتقول في سرها :

((كم هي مدهشة قلوبنا فلديها القدرة على الحب والكراهية في وقت وآحد ، أي قلب هذا الذي يتنفس حبك وكراهيتك ؟؟ ...أنه قلبي ..أصحيح بأننا حينما نكره ونعشق فأننا نكون في ذروة أحساس الحب))

أصحيح هذا ؟؟.......أم أننا في ذروة التناقض و ذروة اسرافنا في جهل أنفسنا....
.......مستميته هي لتقول له أحبك ...

مستميت هو ليقول لها موجوع بك ...

تناهي إليها من مكانها على طاولة المطبخ صوت الباب يفتح ويغلق .

خرج اذاً من دون الالتفات إليها !!

مرتديا معطفه ،وملتحفا صمته ،وجعه ،ألمه ، وانينه ، كبريائه وشوقه المشاكس لها تحت أمطار بيرث في شهر أكتوبر البارد ....

كانت رحى الأفكار تطحن حبات هواجسه وهمومه .

ودارت في نفسه هذه الفكرة :

((أيعقل بأن يكون الإنسان غريب البلاد وغريب المشاعر، هل تكون هي متعبة من غربة المكان ، ومنهكة من وحدة الحياة ،فمنذ قدومنا إلى أستراليا وانتقالنا إلى بيرث وهي تنحدر إلى التغيير ، وكأن الغربة بدأت تكسيها من الداخل ، وكأن الأنسان لا بد له من تغريب مشاعره لتعتاد نفسه غربة المكان .))

بخطوات ثقيلة توجه إلى المقهى في شارع murray متمنياً رؤية صديقه الوحيد هنا ، سمير الكاتب والشاعر العراقي ،جالسا كما المعتاد هناك في أحدى الزوايا يستنشق ما تبقى من تبغ صبره في سيجارة غربته وانكساره وينفث دخان الا مبالاة لكل ما يتحرك حوله .

...... فهنالك أشخاص في حياتنا وجودهم أشبه بالغيوم نحتاجهم ليظللوا أحزاننا يستجدينا الإحساس بأمل هطول أمطار الفرج بمجرد رؤيتهم .

وكان سمير أحد هؤلاء بالنسبة له . كان يستمد منه الإحساس بمرور موجات الحياة في غربته وعزلته .

عام من التغريب في أجمل مدن العالم وأكثرها حياة كانا يلتقيان هنا ليلقي كل واحدا منهما بهمومه في كف الآخر.

وكان جلوسهما دافئا وحميما . وكأنه قد قُدر لهما الالتقاء هنا في بيرث ليطرحوا قضاياهم على طاولات مقاهيها .

فكم هي غريبة أروقة حياتنا تلتوي وتلتف لتتلاقى مع التفافات غيرنا لتزداد مشاعرنا تعقيداً.

قال سمير مُتحرشاً بصمته :
– جمال هذه المدينة لا يعشينا عن اوجاعنا !!

فقال هو:
- أجل في الحقيقة ...ربما نحن من نجيد الالتفاف حول مشاعرنا ....غريبة هي ذواتنا وكأنها أدمنت الرزح تحت الكآبة .

قال سمير:
-أيعقل بأن تكون هذه المدينة جميلة جدا الى درجة الحزن، إلى درجة لا تتحملها أرواحنا ،أيعقل بأنها من تخطئ ترجمة هذا الجمال ؟؟؟

فقال شاعراً برغبة مُباغتةً للبوح :
- منتهى تبتعد بكبرياء فارغ عني !

فقال سمير مُهدئاً :
-أعتقد بأنك تبالغ فالشعراء مرهفين ويحّجّمُون مشاعرهم ، أختر وقتاً لها وأستمع إليها فغالباً ما يحمل الصمت ما يعجز عن بوحه الكلام .

فقال :
- يبدو بأن الإنسان دائما في حالة اختيار أخاف من صمتها وأخاف سكون عيناها .

انهى كلامه . وبحركة سريعة نظر منتبه الى ساعته .ووقفا منتصبا وقال:
– علي العودة للمنزل ف منتهى جالسة بمفردها ، وأنا لذي الكثير من العمل المتراكم .

ترك الحساب.، وترك أخر خيط من سحب دخان سمير ورائه وهم بالرحيل ومغادرة المقهى وفي أثناء عبوره الباب اصطدمت به فتاة ثلاثينية متعثرة بقدمها ، وهي تحاول إمساك هاتفها الذي أوشك علي السقوط منها فطافت نظراتها بسرعة على وجهه وعلى المرارة في أقصي طرف شفتاه وطافت عينيه هو عليها بأكملها بنظرة فاحصة واحدة كانت تكفي ليعرف أي نوع من النساء هي ....

لارا كانت امرأة مولودة تحت برج الشمس امرأة تفيض أنوثة وتجيد الاحتفال بحياتها وتحول أبسط تفاصيلها احتفالا كرنفالي .

بدأ منذ استيقاظها متوثبة على طرف الحيوية ،وحتى تجميع أحلامها على وسادتها لتنام ......كانت تنام على حلم جميل وتستيقظ على واقع أجمل .

كانت الابتسامة طريقتها لتقول للأخرين أنظروا الي لكم السعادة تزحف إلى شفتاي لتتوج نفسها متباهية لكونها تسكن امرأة مثلي .

وبثقة تتكئ على أعوامها الثلاثين كانت جديرة بالأعجاب .وبغرور أنثى تعرف من نظرة رجل واحدة كم أستحوذه سحرها .

تجاوزته رافعة رأسها ،ناصبة قامتها وهي تعلم يقيناً بأنه كان يحدق إليها.

أوقفت أول سيارة تاكسي وأخذت مكانها في المقعد الخلفي وانطلقت تاركة وراءها رجلاً لا يعرف أين باتت قدماه وأين أستقر قلبه .

أيعقل بأن يكون قلبه قد قفز من صدره وأستقر في أحد جيوب معطفها. أيعقل بأن يكون لهذه العضلة الصغيرة القدرة على القفز والتنقل ما بين المساحات والأمكنة !! فلماذا إذاً نشعر أحيانا وكأنه قد أختفى وترك هوة عميقة لا يملئها الا الهواء في صدورنا . الا يُعقل بأن يكون فعلا لقلوبنا أرواح خاصة بها تتحرك وتطوف كيفما يحلو لها .

سالكا نفس الطريق بخطوات متعبه . أخذ يتجه إلى منزله النائم على إمتداد الرصيف والمسترخي تحت لحاف غيوم سماء بيرث .حيث تنتظره زوجته التي كانت منهكة في تحضير العشاء .

كانت مدبرة منزل ماهرة وتجيد كثيراً وضع نكهة بلادهم ورائحة ديارهم البعيدة في صحونها . دار مقبض الباب وأنفتح ودخل هو الى الداخل مندفعا .
استقبلته بحفاوة كما تعلمت وكما أورثوها في عائلتها . وكما كانت تتلقن وصفات الطبخ والتنظيف تلقنت أيضا وصفات الترحيب والتعبير عن الاشتياق ، وإن انبعثت منها رائحة التكلف والتصنع .

بادرته بالحديث معاتبة :
- اتمنى أن تكون قد استمتعت ، في المرة المقبلة خذني معك فأنا اتوق للخروج برفقتك .
ابتسم إليها ابتسامة رخامية وغمرها بنظرات مطمئنة.

لطالما تسألت منتهى:

((لماذا هو هكذا لماذا يستكثر التحدث معي))

فبتفكيرها البسيط وثقافتها المقننة هي تعلم بأن الرجال يجيدون فن الصمت أكثر منه في الحديث ولكن لكم تمنت لو تكسر هذا الحاجز المتجمد .
قاطع أفكارها قائلاً :

_لا تنسي بأن تضعي الملف الأسود في حقيبتي .

فقالت منهى محتدة :
- أهذا كل ما يمكنك قوله لي لماذا لا تسألني ما لذي فعلته وشغلته في غيابك؟

فقال متململاً :
- بربك أنا متعب ورأسي مزدحم بأشياء كثيرة ولا أجّذ متسع لتفاصيل منزلية .

فقالت منتهى :

_حسننا أنا قد قررت الالتحاق بدورة تعليمية للغة الانجليزية في أحد المعاهد القريبة من هنا .
فقال نافد الصبر:

_ولكننا كنا متفقين منذ البداية بأنك ستتفرغين لي ولن يشغلك شيئا عني كان هذا ما قررناه قبل زواجنا وسفرنا .

قالت منتهى :
- نعم كان هذا اتفاقنا ولكني أصبحت أشعر بالملل من كثرة جلوسي هنا لكم أشعر بالاختناق و بإحساس الوحدة . وفترة ابتعاثك ودراستك هنا مرهونة بظروف لا نحكمها و لا نعلم إلى سنظل هنا .

تجاهل كلامها ، وبحركة خاطفة أنهى طعامه وأنصرف الى سريره وخلد سريعا الى النوم بعدما جابت مخيلته صورة لارا الملحة في حضورها ، كم هو غريب استحواذها على تفكيره وكم هي غريبة هي طريقته في تقليبها في مخيلته .

محدثا نفسه :

((لماذا بعض النساء تهز فينا نحن الرجال أوتار لا تعرف بوجودها نساء أخريات ؟!.))

. وظلت منتهى تلملم باقي مرارتها وتجلي همومها ، خلف حوض المطبخ ، وتمسح خذلانها وتكنس باقي ذكرياتها معه .

كم كان مرحا . وكم كان يحبها .لماذا تغير وأصبح لا يهتم بها ؟ هل هي غربة البلاد أم هي غربة المشاعر.

أيعقل بأن يمر المتزوجون في سنواتهم الأولى ب هكذا تيارات عاطفية متقلبه ،مواسية نفسها بهذه الفكرة :

((بأن أغلب العلاقات الزوجية هي هكذا تبدا ملتهبة وتنتهي بفتور تدريجي مجترة في عقلها كل الزيجات التي تعرفها))

فطمئنت نفسها :

((أجل لا يوجد ما يقلق أنها متاعب الحياة فقط))
نام الأثنان يجمعهما فراش واحد وتفصلهما قارات العالم كلها وكلا منهما تلتهم أحلامه طوال الليل كل ما كان يفكر فيه أثناء النهار.

هكذا نحن نغذي رؤيانا بهواجسنا وهمومنا .نرى ما نتمنى أن نراه ونستحضر ما كانت عقولنا تردده لنا ، حتى نثبت لها بأنها على حق وبأن لها القدرة على الأستبصار، ربما لأننا نؤمن بالكرامات .

أستيقظ نافضاً عن جفونه سيل أحلامه التي كانت تحتلها لارا فتوجه مباشرة إلى الحمام وفور انتهائه من حمامه الساخن أرتدي ملابسه بسرعه ،و توجه الى المطبخ حيث تنتظره زوجته منتهى وقد سبقته في ارتشاف قهوتها بعدما حضرت له مائدة الافطار المكونة من الزبدة والبيض والمربى وشرائح الخبز وفنجان القهوة .

برتابة شديدة تناول افطاره وترجل الى خارج المنزل صاعدا سيارته .

الفصل الثاني ________________________

في صباح آخر وفي أثناء توجهه إلى الجامعة ومن خلف مقود السيارة كان صوت فيروز الملائكي يصدح بأغنية جميلة ....

كان يفكر في نفسه :
((لكل منا طريقته في تشتيت حزنه ووجعه وكانت فيروز سلم المهمومين وكساء المغتربين ، فعندما نستمع إلى فيروز نشعر وكأن أجنحة ملائكية بريش ذهبي قد نبتت في قلوبنا وحلقت بها بعيدا إلى حيث يسكن صوتها ،أني أتسال كثيرا أين يسكن صوت فيروز وفي أية مجرة يختبأ فله قدرة عجيبة على سماع أحزاننا فصوت فيروز وطن لأوجاعنا ...أيعقل بأن يكون للوجع وطن الا يكفيه مساحة صدورنا بأكملها .))
رن هاتفه المحمول وكان صوت منتهى على الجهة الاخرى :
- اهلاُ حبيبي هل وصلت ؟
- أنا في طريقي الان .
- لماذا تركتني نائمة لماذا لم توقظني ؟
- لم أشاء اغتيال أحلامك فقد خيل لي بأنكِ كنتِ على موجةٍ شيقةٍ من الأحلام .
- حسننا اذا استودعك الله الذي لا تضيع ودعائه .
اغلقت منتهي الهاتف وفي رأسها دوامة مستعرة من الأفكار.

كانت على الاستعداد لخوض معركة نقاش معه . وهي تحمل كل ما تملك امرأ ة من كلمات مقنعة. ومفردات استعطافية ، ونبرات مُشفقة.

فقد كانت منتهى امرأة بسيطة في شخصيتها وآضحة في مشاعرها . كانت تؤمن بالصراحة والاستقامة في كل شيء حتى في الحب.

قررت أن تنفض عنها غبار الملل .ونهضت بكامل حيويتها لتباشر أعمال المنزل وأعدت لنفسها كوب قهوتها اللذيذة متمنية بأن يمر يومها كما تخطط له ..

قررت في نفسها :

((فور وصوله سأرتمي عليه وأغدقه بكل الحب والاهتمام . سأقنعه بكل ما تملك امرأة من حيل أنثوية . فالرجال أول المعترضين واول المصفقين في أغلب الامور)).

ومن فورها بدأت بتحضير طبقه المفضل وكم كانت رائحة المطبخ الصغير تعبق برائحة التوابل العربية .

ذكرت نفسها بفستانها الأخضر من تصميم ديور الذي كان مركون في إحدى زوايا خزانتها والذي أهداه لها في أول موعد عشاء لهما بعد خطبتهما بشهر.

شجعت نفسها على ارتدائه بقولها :

((كم يحبه ويحب انحناءات جسمي التي يبرزها)) .

انتظرته وهي تردد لنفسها كل الجمل التي كانت قد لقنتها لنفسها.

بعدما فرشت المناديل على الطاولة وصفت الصحون ،البيضاء على جوانبها ، واضعة الملاعق والشوك والسكاكين على جانبيها وزينت وسطها بشمعة كبيرة برائحة القرنفل .

أخذت لنفسها حمام ساخن لتستعيد نشاطها . وبعد انتهائها من الاستحمام جلست أمام منضدة الزينة لتصفف شعرها الأسود ، وتضع مساحيقها، مبتدئة بكريمات الجسم المعطرة مارة ب المسكارة على رموش عينيها ، مضيفة أليهم كثافة أنثوية ، لتعكس تحتهم نظرة مغرية ، و لغزاً غامضاً ، منتهية بأحمر شفاه chanel طابعاً قبلة شهية على شفتاها .

وقفت متوجهة إلى خزانتها المكتظة بالملابس الأنيقة ،بألونها الزاهية ،لتختا ر فستانها الأخضر، مزينة رقبتها بعقد ذهبي مطعم ببضعة حبات من الكريستال .وبحركة رشيقة رشت عطرها المفضل d armany على صدغيها .

بعدما أنتهت من أعداد زينتها جلست تقلب صفحات أحدى المنتديات الألكترونية ،وهي واقفة تنتظره على اطراف لهفتها لتتحدث أليه .

وفي أثنا انزلاقها السريع خلال الموقع الالكتروني استوقفتها صفحة عن الأمومة والطفل ذلك الحلم المؤجل ،والرغبة المخدرة في داخلها ،تنتظر منه التصريح والإذن لتخرج للحياة وترى النور .

دارت زوبعة الحرمان في خاطرها :

((متي سينتهي هذا الحرمان الذي أعيشه ؟ فمنذ أن تزوجنا وهو يُفهمني بحاجته ،لي وبأن الأطفال كما هم رابط كذلك هم حاجز في نفس الوقت ،. في ما بيننا .....

أيعقل بأن يكون لبعض الرجال هذه الحاجة الملحة لتكون لهم والدة أماً ، و زوجة أماً ، فإذاً لماذا دائما في مجتمعاتنا يرددون حقوق الأمهات الوالدات ولا يعيرون أهمية للزوجة الأم فأنا أم لهذا الرجل ... فهو ينام كل ليلة في عيني و يبكي حزنه من دموعي أنا من تسهر اشتياقا لترى أطياف أحلامه تمر على صفحة جبينه وأنا من ترتب أقلامه وأوراقه وأنا من تلتزق رائحة عرقها بملابسه ... فلماذا لا نأخذ حقوق الأمهات أيضاً من أزواجنا مُضافة لحقوق الزوجات ..))

تلاشت أفكارها المجحفة فور سماعها صوت عجلة السيارة يقترب ،تبعه بعد لحظات عدة صوت الباب يفتح ويغلق ،،،،أنه هو،،، اذا فلتبدأ الجولة الأولى من المعركة .

دخل إلى الردهة. ووقف لوهلة واضعاً قدماه على السجادة الصغيرة، نضر بدهشة لزوجته التي كانت تبتسم إليه باستحياء محاولة اخفاء وجهها الخجول خلف أصابع كفها فقالت وهي تًداري شعورها :

-تبدو منهك !! كيف كان يومك ؟

- أجل أنا حقا كذلك .تبدين جميلة جدا يا سيدتي !! هل اشتقتي إلي ؟

فقالت بمرح :

- شكرا جزيلا ...صمتت ومن ثم أكملت :

- أخاف أن يبرد الطعام أني انتظرك حتى تنتهي من تبديل ملابسك .وغسل يديك .

فقال ببرود مفاجئ:

- حسنا لن أتأخر أمهليني عدة دقائق فقط .

جالت خواطر غاضبة في ذهن منتهى ، لجة من أمواج الحيرة تقاذفتها ، فقد كانت مستآئة : ((تباً لي لماذا لم أرتمي إليه ؟ ولماذا أنا هكذا ؟؟...هل هي قدماي من خذلتني؟؟ .... أو هو قلبي اللذي تعمد خذلاني؟ ما الذي حدث ؟ أمن الممكن بأن يكون لقلبان انصهرا ذات يوما القدرة على الانفصال ؟؟ ....أيعقل بأن يكون لقلبانا لغتان مختلفتان ؟؟ فبعدما كان قلبي ينطق بطرف الاحساس لتكمله أنت . كنت أشعر به من نظرة وكان يشعر بي من رجفة أهدابي ......أيعقل بأن تثلج دروبنا بعدما كانت تغطيها الورود ؟ ...أيعقل بأن تتلبد سماءنا بالغيوم بعدما كانت ملونة بخيوط الشمس ؟ أي قلبا هذا الذي يرفض التحرك نحوك والتدحرج إليك بعدما كان يسكنك وكنت تسكن حناياه ؟))

جلس بمواجهتها على المائدة ممعناً في تناول الطعام بصمت فقررت أن تجتاز صمته بقولها : - أنا أريد أن املئ وقتي ليس إلا !

فقال: - وما مناسبة هذا الحديث الأن ؟

- أريد الالتحاق بدورة تعليميه.... أنا لا اطلب شيءً مستحيل ولا أعتقد بأن توقيت دراستي يمكن أن يشغلني عن واجباتي نحوك .

فقال :

- اذا كان الهدف هو ملئ وقتك فلماذا لا تقرئين ؟ فالقراءة قد تضيف أليك أكثر مما قد تضيفه دورة للغة الانجليزية ، فنحن في مجتمع يتكلم هذه اللغة وبشكل تلقائي سوف تتقنينها بالممارسة أنا أنصحك باستغلال وقتك بطريقة أفضل ، فهنالك الكثير من الممكن أنجازه

ويحتاج الى الوقت الذي هو بحوزتك الأن .فقط قولي لي أي نوع من الكتب تفضلي المباشرة في قرأته وسوف أحضره لك بنفسي .

فقالت و الامتعاض يطفح على سطح كلماتها :
- ولكنك تعلم بأنني لا أحب القراءة ولا أجيد الاستمتاع بالكتاب فأنا أصاب بالنعاس والملل أني أرجوك لا تبدأ بفرض شخصيتك في اختياراتي .

فقال مُدافعاُ:

- أنا لا أفرض عليكِ أي شيء أنا فقط كنت أقترح .

فقالت متابعة ومصرة على كسب الجولة :
- ولكني مصرة فأنت دائم الانشغال عني وحتي تواجدك في المنزل ليس لي فأنت أما أن تدرس أو تقرأ !! ....

تنهد بعمق وقال مستسلماً :
- حسنا لكي ما تريد ين .

كانت منتهى تكاد تحلق من السعادة وغمرها الحماس وبدأت تمارس عادتها في الثرثرة مع نفسها :

((لم يكن اقناعه يوماً بهذه السهولة... كنتُ دائما اخوض معه جولات نقاشية حتى يقتنع ...ربما كان هو متعب لدرجة فضل إراحة رأسه ...لكم اشعر بالحرية .. واشعر وكأنه قد نبت لي جناحان في ظهري وأنا مستعدة للتحليق... فبيرث مدينة جميلة ومن المؤسف تمضية طوال اليوم بداخل المنزل .))

مزق نسيج أفكارها وقال :..

-ولكن كيف ستذهبين ؟ أعني بأية وسيلة ؟

فقالت :

- فكرت في هذا الموضوع وأعتقد بأن الأنسب لي هو القطار .

فقال:

- هذا افضل .
كم تحتاج من طاقة إقناعية ...وكم تحتاج من مفردات لتفهم من أمامك بأنك تحتاجه ...فمن لا يفهمك من نظرة لن يفهمك مطلقا فلا تتعب نفسك .

ملقياً نضرة على ثلاثية احلام مستغانمي ذاكرة جسد التي كساها الغبار مركونة على إحدى الرفوف ألتي قدمها إليها بلهفة قبل ثلاثة اشهر.. كم تمني لو قرأتها ..لو فهمت الحب بطريقة احلام ،الحب المجنون ، تمنى من كل قلبه لو أنها تتحاور معه عن صفحات الكتاب وتنام على صدره وهي تقرأ له قصيدة .....أية قصيدة مرددة بشفتها ،،،عبارات يحبها الرجال.... وحتى لو كان يعرف ضمنياً بأنها لم تكتبها ولكن يكفي بأن تقرأها له .

فكثير من الهدايا تحمل رسائل تخجل الكلمات عن شرحها ..

فقال مختصراً جلوسه ..:
- سأرتاح قليلاً وبعدها سأقصد المقهى فهل تودين الخروج معي ؟

فقالت :

- لا أعتقد ..فأنا سأتحدث الان مع اختي ندى عبر شبكة الانترنت لأعرف تفاصيل جهاز زواجها ومن ثم سأجهز اوراقي التأهيلية للأ لتحاق بالمعهد غدا .

قال : - سأخرج بمفردي اذا .
خرج وهو يحمل ضعفين من الوحدة و اضعاف من الألم والفراغ والإ قصاء .

تصور بأن تقطع بقدميك هذا الرصيف ماراً بكل هذه البيوت التي يكسوها الجمال والألم يقطعك بقدمي ذل ذهابا وايابا .

كم هي مُضحكة أحوالنا ، لا يدري لماذا وقفت جملة (كافكا) مُنتصبة أمام ذاكرته (كيف أصبحت الشخص الذي أنا هو ؟هل أنا نفسي فعلا أم صنع مني الأخرون بالأحرى الشخص الذي أنا هو).

كيف يمكن لامرأة أحبتك يوماً وحمّلتك بكل الوعود أن تكون بهذه الأنانية والبرود معك .

دفع باب المقهى وكأنه يدفع أكوام خيباته وأندفع إلى الداخل وأخذت عيناه تبحث عن سمير ولكنه لم يكن موجوداً. فأخذ لنفسه زاوية.

جلس على كرسي غربته ،متكئ على طاولة وحدته ،يلعق قهره من كف الخذلان ، واضعا أوراقه ومخرجا قلمه .

فلا يوجد شيء قد يمحي ذاكرتنا مثل الكتابة (فبقدر ما تكتب فأنت تمحي من ذاكراتك) .

بدأ في الاسترسال في أفكاره .:

.((كم تشبهني عبارة أحلام على لسان حياة _ نحن نكتب لننسى _ مسترسلا في إكمال قصيدة تعسرت كلماتها بدأ الابحار على زورق الكلمات فاتحاً أشرعة الخيال مُجدفاً ضد أمواج المنطق .

رفع رأسه محدقاً إلى الرصيف خلف باب المقهى كان هطول المطر يضاعف من احساسه ويضاعف وحدته .ومن خلال زحمة المشاهد في الخارج دخلت فتاتان الى الداخل بمشهد صاخب وحضور أكثر صخبا كانت أحداهما تثرثر بصوت عاليٍّ ، و الأ خرى مسترسلة في نوبة ضحك .وأخدتا لنفسيهما مكان قريبا من طاولته .

أتكون مجرد صدفة أن تكون أحدهما هي لارا بصخبها وسحرها ، هذا المكان مجرد مقهى يرتاده الكثيرون فلماذا نعلق أغلب تفاصيلنا على مشجب الصدف .

ولكن هذه المرة كانت هي أكثر جمالا من ذي قبل كان شعرها مسدولاً وكانت ترتدي سروال جينز وجاكيت مخملي ، وقد برز تي شيرت من تحته مطبوع علي وجهه صورة العلم الأسترالي .

حدث نفسه قائلاً:

((امازال قلبي بداخل جيب معطفها ؟؟))

لكن على ما يبدو بأنها لم تكن ترتديه . تصوره بداخل خزانتها معلق مع أوشحتها او ربما كان مصفوف مع أحذيتها على أحدى الرفوف.

سرق نفسه من أفكاره منتبه لنفسه يحدق بها .

حدث نفسه :

((كم أنا مغفل !!))

وتابع كتابة قصيدته محاولا اجترار عباراته وهو يهمس لنفسه مجرد امرأة جميلة ..

((.أحقا !))

ولكنها تتحدث بحيوية وبشكل متلاحق أنها ...

ياأاالهي.. كم هي ثرثارة ولا تتوقف عن الكلام الا عندما تضحك لتواصل جرعة أخرى من الثرثرة المتلاحقة ، وفي أثناء ذلك كانت تخرج أشياء من حقيبتها واضعة كتاب أمامها وكان غلافه واضحاً له تماما .

كان الكتاب سقف الكفاية للكاتب السعودي محمد حسن علوان .

حدث نفسه :

:((مضحكة هي الصدف ولكنها لا تبدو من النوع الذي يقرأ هذه النوعية من الكتب))

ألتفت اليه المرأة الأخرى وهي تنظر إليه وكأنها قد تنبهت لتحديقه إلى لارا وهمست بكلمات غير مفهومة لرفيقتها.

ورفعت لارا رأسها نحوه...

.فقال لنفسه :

((أذاً كانت تهمس لها عني لكم أنا أحمق مغفل .))

. لملم كبريائه محاولاً التركيز على ما كان يشغله قبل مرور زوبعة لارا بقربه وأخيرا بعد الانتهاء منها و بعد استرساله في الكتابة ، أدهشه بأنه قد نسي قهوته التي برد دفئها وخفت أنين دخانها .

قرر الاستمتاع ومكافئة نفسه بقهوة أخرى بإنجازه لقصدتين في وقت واحد.

معتبراً حضور لارا قصيدة اخرى ...مرتشف كوبه مضيفاً مرارة القهوة إلى طعم المرارة في شفتاه . كان يشعر بالتوازن والارتياح وكأن القهوة دماء تجري في أوردتنا الفكرية كم كان الشاعر نزار محقاُ فقذ أتفق العالم على سواد القهوة . القى بنظرة أليها من خلف حافة كوبه كانت تقرأ بهدوء في كتابها ، متوحدة مع صفحاته ، وكأنه لا يوجد في هذا المقهى الاهي فقط وقد تلاشي صخبها المزعج والمثير ...

قرر مغادرة المكان والنهوض متمالك احساسه بنشوة المنتصر .... واضعا الحساب على الطاولة مندفعا للخارج استدار للحظة ليتأكد من أنه لم ينسي شيء هناك عذا قلبه في جيب معطف تلك المرأة الجالسة بهدوء والملقى في خزانتها . سقطت عيناه على وجهها الجميل كانت تنظر إليه على ما يبدو وتتأمله منذ اللحظة التي وقف فيها .

نظرات متعجرفة وكأن ما تراه شيء كان يقرفها وجوده طوال الوقت. ومتعلقا بكبرياء رجل بادلها نظرات الا مبالاة .

حدث نفسه :

.((مجرد امرأة جميلة ثرثارة ...تتقن تحقير الأخرين ..ولكن قلبي سقط في جيب معطفها !!!))

..لا يعرف لماذا لم يتمالك رغبته بالفرار من عينيها تاركا المقهى خلفه .

توجه إلى كشك لبيع الكتب يبحث عن كتاب صدر مؤخرا للكاتب السعودي محمد حسن علوان بعنوان طوق الطهارة .

ربما أستفزه حضور كتاب سقف الكفاية لنفس الكاتب بين يديها ولكنه كان ينوي قرأته .

قال لنفسه .:

.((أحقا ؟؟ أكنت أنوي شرائه أم أنها قد بدأت أولى جرعاتها الاستفزازية مفعولها ..كم كانت امرأة مُستفزة ..وحاضرة بكل شيء، كان كل شيء فيها يصرخ أنا .. في الوقت الذي كنت أهمس فيه بصوت خجول مبحوح ..أنا .!. فقد أربكني حضورها بقدر ما أيقظني من غفلتي عن أنا ..هنالك أشخاص مجرد ملامستهم لحياتك يحدثون هزة عنيفة في وجودك . وربما تكون هي أحد هؤلاء الا شخاص...))

وبما أن منتهى مشغولة اليوم لأقصاها قرر تمضية ما تبقى من نهار يومه في حديقة كينغز بارك وهي حديقة جميلة من أرو ع ما قد تراه هنا في قارة أستراليا تطل عليها ضفة نهر سوان ،الذي يبدو جزء منه وكأنه بحيرة لاتساعه، و تبلغ مساحتها الف فدان من الخضرة والازهار، وتعد هذه الحديقة الشاسعة متنفسا مهما بالنسبة لسكان بيرث، حيث يفدون اليها للتنزه والرحلات، بل وعقد الزيجات، كما يمارس فيها البعض الرياضة بمختلف انواعها.

لطالما أعتاد المجيء إلى هذه الحديقة فرؤية الأوراق الخضراء المتأرجحة بدلال على الأغصان ، والحشائش النائمة محتضنة الأرض تحتها وقطرات الندى متشبثة باشتياق المودعين بأطراف النباتات .

كل هذا كان يسكن ألم الوحدة و اوجاع الفراق فكم يشتاق إلى أمه وأخوته فهو واحد ما بين ثلاثة ذكور وأنثى واحدة ، فأحيانا تحرقه دموعه في مقلتيه حينما يتذكر ألم أمه المقهورة والمكسورة، لكم أحنتها السنين ،ولوت الاقدار رغبتها في الحياة .

تظل الأم عظيمة وبقدر مقدار حزنها يكون مقدار صعودنا وانجازنا..

أجتر خواطره:

((لو كان بيدي لوضعت كفي لتجمعي دموعك فيهما وأبدلها بكفي ورود .أتعلمين يا أمي بالرغم من أنني أحب عزف القصائد الا أنني أخاف الاقتراب منك في قصائدي...أخاف أن بدأت بكلمة أمي لا أنتهي ولا تنتهي قصائدي الا بحتفي ......كم هو مخيف حزن الأمهات أشعر وكأن مدارهم لا يكتمل الا بوجود دمعة متأهبة للسقوط فور رؤيتنا.. سامحيني أن تماديت في أبكائك سامحيني كلما تماديت في

ايذاء نفسي لأبكيك ...فأنا لم أفهم أمومتك الا حينما احتضنتني الدنيا ببطانة الوحدة ، والقهر والذل وقسوة الأحبة ..في مقعدي المعتاد علي ضفاف حديقة كينغز بارك حيث كان فارداً ألواحه لتحتضن دموعي، و وقفتِ أنت بقربي هناك ،بالقرب من .....مقعد على ضفاف الكينغز بارك .وكأنك على موعد مع دموعي)).

((وكأنك كنت تتنظرين رؤيتي في أقصى صوري ضعفا وأكثر أحزاني سرية ،لكم مضحكة هي الصدف حينما ألتقي بك مرة أخرى هنا وتلتقين أنت هنا بدموعي أكان من المفروض أن تجمعني الأقدار بك مرة أخرى هنا مع أحزاني و دموعي فقولي لي فبربك ألم تختار قدماك غير هذا المكان لتكملي هوايتك في استفزاز المغتربين والمقهورين))

كانت لارا واقفة تراقبه بسكون ولكنها كسرت سد الصمت بقولها له :
- أنا أسفه لم أقصد التطفل عليك أو مراقبتك ، أنا أعتذر،، فقط كنت أتجول هنا لأكمل قراءة كتابي و....
محاولا ليداري دموعه ويجفف نحبيه قال :

– الحديقة ليست ملكي وأنا لا أستجدي منك شفقة لتعتذري مني .

فقالت :
- كم أنت طاعن في مرارتك لدرجة أنها تكسوك وأول شيء قد ينطق به صمت شفتاك .

فقال :

- وكم أنتِ طاعنة في الاستفزاز إلى درجة أنكِ تجازفين في التحدث إلى الغرباء ...أهي هوايتكِ المفضلة بالإضافة إلى القراءة ؟ مشيرا إلى الكتاب الذي تحمله في يدها .

فقالت :
- عفوا؟!

قال :
- أقصد كنتي تثرثرين في المقهى متجاهلة كل من حولك وقد لمحت نظرات الاحتقار منك عندما هممت بالرحيل .... الا يكفي ذلك بأن أوصفك بالاستفزازية ؟؟

قالت :

_اذا كان احساسي بالحياة يستفزك فنعم أنا استفزازية .
اطال النظر إلى التي شيرت من تحت الجاكيت المخملي بأبتسامة ساخرة كمحاولة

ركيكة مفضوحة ليغير اتجاه الكلام .

فقال :
- يقال ان اللون الازرق يرمز الى زرقة سماء البلاد والاحمر
الى الارض الملونة بدماء الشهداء والابيض لثلوج فصل

فقالت مُدافعة :

- لست من النوع الذي قد يرتدي رموز في ملابسه ولا فكرة لديه عن ماذا تعني ،فأنا أعلم بأنه يشير وجود العلم البريطاني الى ارتباط استراليا ببريطانيا وترمز النجمة الكبرى الى أتحاد استرالي ويشير النجوم الى الصليب وتشير رؤوسها السبعة الى عدد الولايات الاسترالية
فقال مُتحدياً:

- أدهشتني لكم أنت وافدة يقضه .

فقالت :
- أنا لست وافدة أنا من المهاجرين اللبنانيين العرب الأوئل إلى أستراليا. فقد هاجر جدي منذ مطلع الخمسينيات إلى هنا ، وقد أسس مؤسسته الصغيرة في المنحوتات الزجاجية والخشبية وبرأس مالها المتواضع، ولكنها صامدة وأنا مديرة التسويق الاعلاني فيها .

وفتحت حقيبتها وأخرجت الكرت الشخصي الخاص بها كمديرة التسويق وكان أسمها وأرقام هواتفها النقالة مدونة وقد أنتبه لأسمها لارا الزيات ، فقال محدثاً نفسه :

((اذا هي لارا الثرثارة))

محاولا أخفاء ضحكته .

فقال مُمانعاً :

- لا شكرا فلا أحتاج إليه فأنا لست من هواة جمع المنحوتات، ولكن ربما زوجتي يثير اهتمامها هذا النوع من الفنون سأحمله اليها .
- فقالت شارحة :

- نحن نقيم معارض دورية لنعرض أعمالنا الجديدة ونُعرف زبائننا على أخر انتاجنا بإمكانك أن تأخذ ه وأن ترسل لي عنوان اقامتك على البريد الالكتروني المدون في ظهر الكرت laraalzyate@hotmail.com فنرسل لك الدعوات في حالة اقامة المعرض ، يبدو لي أنك من منطقة الخليج اليس كذلك فسمرة وجهك المحمرة أخبرتني بذلك فانتم ....قاطعها بعصبيه

- هل أنت ثرثارة هكذا ام أنك تمارسين استفزازك مرة اخرى ؟

اطالت النظر اليه وعضت على شفتاها وقالت :

- وهل أنت تمارس مرارتك وحزنك مرة اخرى ؟

فقال :

- أحزاني لاتهم أحدا غيري .

تابعت ثرثرتها غير مُبالية بصده لها فقالت :

- هل أنت كاتب أو شاعر فقد كنتُ استرق النظر أليك في المقهى، كنت تكتب كلماتك وكأنك تنحت الورق فقد كنت منكب تماما على....

. لملم نفسه وحمل كتابه واستدار عنها .

فقد بدأت الشمس تتثائب وتفترش السماء وسادة لتنام. فقد تذكر منتهى التي تنتظره كما تعود دائما تاركاً لارا مرة أخرى خلفه هذه المرة ، ومضى بدون الا لتفات أليها وهو يحمل كل يملك رجل من كراهية لكبرياء رجولة جرحتها دموعه أمام امرأة مكتظة مشاعره نحوها .

امرأة كرنفاليه في أسلوب حياتها صاخبه وثرثارة ولكنه كان يعلم هذه المرة سر ثرثرتها الملحة ، فقد كانت تطبطب بشفقة على دموعه .

قال مُحدثا نفسه :

:((فلتذهب إلى الجحيم تلك المرأة لارا،، لماذا هي بالذات من أخترت أن أذرف دموعي أثناء مرورها من هنا.... تبا لدموعي التي لم تختر الوقت المناسب هكذا اذا يا لارا .... فياله من لقاء مميز _أبتسم ساخرا _حقا كان مميز وفراق أبدي بدون كلمة وداع وهذا الكرت يستحسن بأن أتخلص منه فأنا لا أريد الالتقاء بأشخاص أتذكر ضعفي كلما قابلتهم))

وضعه بداخل الكتاب مقررا التخلص منه فور وصوله إلى المنزل .

دخل إلى المنزل وكانت منتهى تحلق من السعادة فغداً مرحلة جديدة في حياتها . وهي سعيدة حقاً فمنذ زمن بعيد لم يرها هكذا أحس بالارتياح فربما كانت فعلا في حاجة لتمارس الحياة قليلاً بعيدا عنه .

جلس في زاوية مكتبه وأخذ في قراءة كتاب طوق الطهارة محلقا في كلماته الجميلة مستعيد لنفسه ذكرياته في وطنه عندما كان يقرأ الكتب في أيام صباه ويلتهم الكتب . فقد كان يعشق الفكرة والكلمة كان يسأل عن كل جديد ويذهب في رحلات استطلاعية إلى المكتبة ويثيره الفضول عند سماعه بأسم أحدى الكاتبات أو أحد الكتاب . لكم يغريه التجديف في عوالمهم باغتته منتهى في خلوته وشرعت بجذب أطراف الحوار معه فقالت :

- متى ستكتب روايتك الخاصة يا حبيبي ؟الم تقل بأنك تفكر بجمع قصائدك في ديوان لنشره ؟

فقال :

- لا أملك الوقت ....فالكتابة تحتاج لأن افرغ نفسي فأنا للأن لم أشعر بأنه قد حان الوقت المناسب .

منتهى كانت دائما تتباهى أمام صديقاتها بالقصائد التي كان يكتبها لها زوجها منذ ايام خطبتهم ولم يكن يثير اهتمامها الا الأشياء التي تكون هي محورها وعنها فقط فقد كانت تحترم في زوجها شغف القراءة وشغف الكتابة وفضوله المجنون لتعلم كل شيء عن كل شيء ولكنها لم تفكر ولو لمرة بأن تشاركه هوايته .

قال لها مُبادلاً الحوار:

- أتعلمين بأن القارئ الأسترالي قد وصل إلى مرحلة النضج فقط في الستينيات القارئ لا الكاتب عندما تخلصوا من عادة الكتابة للغرباء حين قرر السوق الأسترالي دعم الادب* المحلى . قالت منتهى :

- لم افهم ما المناسبة لكلامك !

فقال موضحاً:

- أعني يا عزيزتي أن العلاقة ما بين الكاتب والقارئ طردية فنحن العرب كما يقول البعض وهي حقيقة وأن كانت جارحة أمة اقرأ التي لا تقرأ !! ....

نحن شبه خاملون ولا توجد لدينا حركة كتابة و تأليف ونشر لأنه لا يوجد لدينا كثافة قراء أتعلمين ماذا قال ج .م. كوتسي ..... فقد قال بأن الفرق ما بين الكاتب المؤلف والمدون هو كالفرق ما بين الطبشور والجبن الذي يؤكل فمثلا الرواية الافريقية فقد قطعت أيضا شوطاً طويلا وحركة الزنوج النابعة من القارة الأفريقية في الأربعينيات والخمسينيات و التي هي في الواقع مفهوم أيدولوجي يؤكد على الثقافة المستقلة للزنوج كدليل على ذلك ** ونحن هنا في خليجنا الحبيب لازلنا نحاول الزحف على بقايا ركام حضارة الرافدين...

فقالت منتهى مُقاطعة :
- حسننا جدا ولكنك لم تفهمني لما ذا أنت لم تنشر قصائدك للأن ؟

صمت هو وماذا يقول وكأنه يتحدث إلى نفسه فواضح جدا وبشكل فاضح بأن منتهي تسلك طريق آخر غير للذي يسلكه وكلما أمعن في الاسراع في دربه أمعن في سرعة الابتعاد عنها
-- .

مر اسبوع وطاحونة الأيام تدور به ما بين دراسته وكتاباته وما بين المقهى وسمير العراقي ومنتهى الوجع الذي لا ينتهي .

فقد باشرت دراستها مستمتعة بكل شيء تمر به ، ويمر بها ، ماضية قدماً في حياتها وتفانيها في واجباتها نحوه . متمنية وراجية في سرها من الله تعالى أن يعود قلبه حنوناً . عليها وتعود أمواج مشاعره ملتهبة نحوها . فهي تستيقظ قبل استيقاظ الشمس لتنطلق في أخذ حمامها الساخن ووضع زينتها وتجهيز ملابسها وتحضير وجبة الافطار ،و تذهب لتجلس بجانبه لتوقظه بصوتها العذب ، طابعة قبلة شهية على جبينه لتمضي في رحلتها في القطار قاطعا بها مناطق عديدة من مدينة بيرث الخلابة .

مستمتعة بكل التفاصيل على امتداد النظر. فمنذ قدومها معه هنا وهو يحاول قدر الإمكان استقطاع مساحة من وقته لها وأخذها إلى كل زاوية جميلة والتنزه على أرصفة بيرث التي تتناثر المقاهي على ضفافها والحدائق الجميلة المنتشرة ، والمتاحف العصرية المتعددة . و أصطحبها مرة واحدة إلى أحدى الاحتفالات لمشاهدة رقصتهم التقليديه وما يصاحبها من عزف على الة خاصة تشبه البوق تعبيرا عن روح الاجداد ومصدرا للالهام الخارق للطبيعتها واللذي هو جزء مهم من الثقافة "الأصلية الاسترالية" فهو يعتبر على نطاق واسع واحدا من اقدم الثقافات الحية المعروفة على الا رض تعود الى عشرات الالاف من السنوات قبل الاستيطان الأوروبي ،

فكرت بمهاتفته وهي في طريقها قالت له مُعاتبة له :
– أني اشتاق لخروجنا معا فما رائيك ؟

قال :
- سأحاول الانتهاء باكرا فما رائيك بأن نتناول الغداء في أحدى المقاهي أيناسبك هذا ؟

قالت :
- حسنا جدا سأكون مستعدة عند الساعة الواحدة والنصف .

قال :
- هذا جيد سأذهب الان مع السلامة .

قالت: حفظك الله
أغلق الهاتف المحمول وقد قرر شراء هدية لمنتهى وأخذ يفكر في نوع الهدية التي من الممكن أن تثير فرحتها .

ارتدت منتهى سروال الجينز وقميص الكتان الارجواني ولفت حول راسها الحجاب الكرزي المطبوع بأزهار البنفسج على جوانبه ، وفي أثناء انهماكها في ضبط لف الحجاب بشكل مُتقن تذكرت ما دار في محيطها العائلي من تكهنات ، عن قابليتها في نزع الحجاب والتنازل عن هويتها الدينية . هذا الحجاب كان رهانها مع الجميع ، رهانها اللذي قد كسبته برمية واحدة .

فلقد أسقطت كل التخمينات عن مدى فشل الحجاب في مسايرة الحياة المدنية في جانب العالم الأخر . وردتّ على كل الأسئلة بإجابة تختزل ألف جواب وجواب . فقد قالت للجميع وبنبرة لا تقبل النقاش

((حجابي عقيدتي ،، والعقائد لا نقاش فيها .)) .. فمن تملك المرونة لتقسط في حجابها ، فهي بالتأكيد لديها القدرة للتقسيط في أشياء أخرى ،،فلا يوجد في جسد الفكر الأخلاقي ما هو أكثر ثباتاً من العقيدة ،، ومن لديها القابلية لكسر هذا الجسد فمؤكد بأن لها قابلية لكسر حواجز أخلاقية أخرى.

فهي تؤمن بحرية العقائد ولكنها لا تحترم من لا يحترم عقيدته ،، ومن لا تحترم حجابها فهي لا تحترم عقيدتها ،، والأنسان مرهون وجوده بعقيدته ،، فمن لا عقيدة لديه ،، لا وجود لديه ،، ولهذا فهي تعتقد بأن من تفرط في حجابها فقد فرطت في وجودها كامرأة مسلمة .

فكيف يدعون ممارسة الحرية في الوقت اللذي قد يكون وجودهم مشكوك في وجوده .فلابد بأن يكون هنالك وجود من الأساس حتى تكون هنالك حرية تُمارس من خلاله .

. تذكرت تعاطفها اللذي أرهقها نفسياً مع المحجبات في فرنسا .. تلك القضية ألتي كلما توقفتَ قليلاً على جوانبها أصابك التّصدّع من هول التناقض ، فهنالك نساء تدفع دفعاً للسفور وتُحارب بكل ضراوة ،، مُحولة القضية إلى رمز كرامة ، وجود ، حق ، حرية .

كان من الأجدى أنفاق الوقت في صقل أدمغتنا ، وتلميع جوهرنا . بدل أنفاقه في ملاحقة آخر صرعات الحجاب ، وتكديس الشالات المطرزة فوق رؤوسنا ألتي قد أصابها الصدأ وفقدت القدرة على التقاط الأفكار ، وتعطلت فعاليتها في التوصيل .

وخرجت من منزلها حيث كان هو واقفا بانتظارها تأبط دراعها بمرح صبياني ورمقها بنظرة حنونة ،وباغتها بابتسامة حلوة .

ومشيا على الشارع المرصوف تحتضنهما رياح الظهيرة الدافئة .

جلست مواجهة له وفي عينيها سعادة واضحة وبينما كانت أصابعها تلتقط قائمة الطعام كانت يده تبحث في جيب معطفه عن الهدية .

أخرجها وهي تحمل صندوق أسود صغير ملفوف بشريط ستان أحمر ومعقود بشكل وردة في أعلاه قدمه لها وفرحت كثيرا به ، وكأنها تعرف تحديدا ما الذي يحتويه فقد كان خاتم أنيق من الذهب الأصفر مزين بأعلاه بحجر الماس صغير.

وضعته في حقيبتها بأصابعها الرشيقة وشرعت في تناول السلطة وفي أثناء انهماكهم في أنهاء تناول طعامهم أقترب منهم سمير وبنبرة مرحة وبلهجة عراقية محببة القى عليهم التحية فدعوه للانضمام أليهم على نفس الطاولة.

جلس سمير على مقربة من منتهى بعدما صافحها، فقد كان يحترم فيها صورة المرأة المتفانية والمخلصة وكان يحترم حجابها على وجه التحديد مستهلا حديثه معه ، فقال سمير:

- لقد اطلعت اليوم على مقالك الذي نشرته في الجريدة كان رائعا وفي الصميم .

فقال هو:

- شكرا جزيلا لك فأنا قد ترددت كثيرا في تدوينه .

نظرت اليهم منتهى باستغراب موجهة الكلام إلى زوجها

- عن أي مقال تتحدثون وعن أية جريدة ؟

فقال سمير مستغرباً:

-الا تعلمين بأن زوجك يكتب في جريدة الكترونية تتناول قضايا المغتربين ومشاكلهم يرتادها أغلب الوافدين العرب ؟؟

رمقت منتهى زوجها بنضرة عتاب وفي أثنا هذا الصمت المتوتر قرر سمير الانسحاب بهدوء قالت له والدموع تطفر من عينيها :

- لماذا تتعمد أذلالي وتهميشي ؟

فقال :

_ أنا لا أهمشك ولكنك لم تسأليني يوماً واعتقدت بأن الموضوع لا يهمك .

فقالت منتهى :

- أنا أهتم بأدق التفاصيل في حياتك بدء من حمامك عندما تستيقظ و انتهاء بوسادتك وغطاء سريرك عندما تخلد للنوم أنت كل شيء في حياتي ولكني لا شيء بالنسبة لك .

فقال :

- كيف لك بأن تصنفيننا من الأشياء فأنا وأنت لم نكن من فئة الأشياء لنكون لبعضنا اشياء فقد كنت لي قلبا وجسدا وروحا احتواني والأشياء ليس من طبيعتها الاحتواء .

فقالت منتهى غاضبة :

-لكم كنت تجيد التلاعب بالكلمات لتسكتني ولكن الان موقفك حرج كيف لي وأنا زوجتك أن اكون آخر من يعلم ؟؟

فقال :

- منتهى اهدئي ارجوك نحن في مكان عام وأنت تضخمين الموضوع أنها مجرد مقالة في جريدة الكترونية .

الفصل الثالث

قرر أن يتركها تهدأ بمفردها فالكلام في هذه الحالة لا يزيد الموضوع الا تعقيدا .

فهو بأعوامه الثلاثين كان يدرك بحكمة نضجتها تجاربه في الحياة وثقل الهموم المتراكمة عليه ، منذ وفاة والده .بأن الزمن مخدر لأوجاعنا فهو الماء المالح الذي يغسل ذاكرتنا وينشرها على حبل النسيان .

كان يشكو في سره ((لكم أنهكتني طموحاتي بأن أكون كاتبا في زمن لا يعترف بالكلمة ألا اذا كانت مغلفة بالدولار.. أنهكتني هموم العالم فنحن لم نحصد من نشرات أخبار العالم الا تهمة الأثرياء المتفرجين ، ونحن لدينا ما يكفينا ويزيد من هموم))

وقع من دوامة أفكاره على صوت منتهى من خلال هاتفه المحمول فقالت :

- سأتأخر اليوم فأنا مدعوة لتناول الغداء مع ريم كانت دعوة مفاجئة وملحة .

فقال :

- حسننا اذا استمتعي بوقتك .

فقالت بدلال :

I will do so see u ,good bay-

ريم فتاة عشرينية خليجية ،شخصية مثيرة للاهتمام ،التقت بها منتهى في معهد تعليم اللغة وهي لا تكف عن التحدث عنها والدردشة معها على الهاتف وأحيانا على أحدى برامج الشات في الانترنت .

فقرر الانكفاء على كتاب طوق الطهارة حتى ينهيه مكتفياً بفنجان قهوة أعده بنفسه .

كان يقرأ بقلب ملئ بالحماس وأثنا تنقله ما بين الكلمات . وانزلاقه ما بين السطور قلب الصفحة واذا بكرت لارا كان يحدق أليه صاخباً ومثرثر بأرقامه ، أمسكه بأطراف أصابعه ورغما عنه سرقته مخيلته إلى لارا .

كان يسترجع وقوفها بجانبه وشعرها الكستنائي الذي كانت تتلاعب به الرياح وتقدفه على جبينها الناصع وعيناها البلورية ونظراتها النافذة وقوامها الجميل الممشوق كغصن .....
لماذا تختزن الذاكرة تفاصيل نغفل عنها وقت الحضور وتشاكسنا باستحضارها عندما نعتقد بأننا انتقلنا إلى الضفة الأخرى من النسيان .

ارجع الكرت إلى مكانه من الكتاب ما بين الصفحات متحدياً قلبه الذي يعلم بإحساس رجل بأنه لم ولن يعود بحوزته.

قرر الخروج قليلاً والتوجه إلى حديقة الكينغز بارك يجرفه شوقاً إلى الجلوس على مقعده المفضل .بانتظار عودة منتهى إلى المنزل وفي اثناء توجهه إلى الحديقة كانت مراوح الأفكار تدور برأسه .

قصيدة غير مكتملة هنا ومقال قيد التحقيق هناك واكوام من الكتب تنتظره بلهفة ليربت على كلماتها على سطح مكتبه. ولارا الملحة في حضورها لتزاحم بقية همومه .

فكيف نطرد شخص من مخيلتنا وهو يخبئ قلوبنا في خزائنه .

عقد العزم على أن يحدد موقف ذاكرته من لارا أما أن يعمد الى تصفيتها نهائيا وبشكل مطلق وأما أن يطلق العنان للجنون .

تمنى رؤيتها في الحديقة ولو بضربة حظ من الصدف فقط ليختبر شعوره وأن يثبت لنفسه بأنها لا تهز أوتاره ولا تحرك سواكنه . ولكنه لم يراها فرجع الى المنزل يجر أذيال الخيبة وكانت منتهى قد سبقته في الرجوع إلى المنزل . وكانت تنتظره بشوق ولهفة ضمته وارتمت في حضنه منتشيه بحياتها الجديدة .

فقالت :

- أفكر في شراء هدية مميزة إلى صديقتي ريم فبعد أسبوع ستقيم حفلة عيد ميلادها ولكني اود شراء شيء يشببها ومميز أيضا فهل ستساعدني في الاختيار فأنا أثق بذوقك .
وبما أن حضور لارا الملح لا يفارق تفكيره تذكر كرتها الرازح تحت ثقل صفحات الكتاب فقام من مكانه وأخرجه وقدمه لمنتهى مقترحا عليها منحوتة تحمل أسم ريم أو أي زخرفة تفضلها أعجبتها الفكرة ومن فورها قفزت إلى الهاتف وضغطت أحدى الأرقام وعلى الجانب الآخر كان صوت لارا الذي تناهى صوتها عذبا هامسا أليه .و بما أن منتهى كان رأسها ملتصق برأسه رجفة غريبة سرت في جسده .عاصفة قذفت خياله مرة أخرى إلى المقعد على ضفاف الكينغز بارك ..

قال الصوت العذب على الجهة الأخرى من الهاتف .: -الو مرحبا ..

.ردت منتهى :
– أهلا بك ..وتابعت حديثها وهي مفعمة بالحماس...
- أني اود كثيرا زيارة معرضكم ولكني لا أملك العنوان فهل يمكنك أن تصفيه لي اذا أمكن فأنا أود شرا هدية مميزة وأرغب في اختيار زخرفة على أحدى المنحوتات بعد اختياري لها ..

قال الصوت العذب: . .
- تفضلي في أي وقت تشائين فالمعرض يفتح الساعة التاسعة صباحا تفضلي ودوني العنوان (...............)

قالت منتهى :
- شكرا جزيلا سأكون موجودة غدا بعد الظهيرة .

قال الصوت العذب: - أهلا بك .
كانت هي اذا لارا الصاخبة وألتي استدار عنها بكل ما يحمله من عجرفة رجل شرقي بينما كانت هي مستميتة للشفقة على دموعه ..احس بالمرارة مزدرياً نفسه .
قالت منتهى لزوجها:- أنا مصرة في اصطحابك معي فأنا أثق بذوقك . أرجوك .
فقال - حسنا اذا سوف أذهب معك .
فقال لنفسه :
((أحمق ...مغفل .._شتم نفسه في صمت _ أي مازق سأضع نفسي فيه الان))

على أهبة الحماس استعدت منتهى، وعلى أهبة الامتعاض وقف هو .

وانطلقا في سيارة تاكسي بعدما أعطى العنوان للسائق . كانت منتهى طوال الطريق تثرثر عن الحفلة وتشير إلى المناظر التي كانوا يجتازونها . وفي خلال نصف ساعه كانوا واقفين في مواجهة الزجاج المضلل للمعرض اندفعا إلى الداخل مجتازين أصص النباتات الخضراء المصفوفة على الجانبين، حيث كان المكان شبه خالياً الا من سائحين عجوزين ، كانا يختاران هدايا تذكارية على ما يبدو، وموظفة جميلة كانت واقفة في مواجهتهما تنصت إلى طلبهما باهتمام .

بحركة عصبية تنبهت إلى دخولهما متتبعة خطواتهما ، استدارت مرة أخرى للاهتمام بزبائنها وفي أثناء ذلك أخذت منتهى بالتجول حول المنحوتات ، ووقف هو يتأمل المكان بفضول مكابر ((هذا هو اذا المعرض))

.. تناهى إلى سمعه صوت الباب الزجاجي دافعاً معه إلى الداخل رياح الخارج وضوضاء الشارع وصخب لارا غارقة في نوبة ضحك ، وألتي كانت تمشي على عجل كموجة متمردة على سطح محيط راكد ومستلقي بخمول تحت صفحة الشمس الذهبية .

وهي تتحدث بالهاتف النقال حولت نظراتها إلى منتهى ألتي كانت واقفة بشغف . وبخبرتها الممتدة في تعاملها مع الزبائن خمنت بأنها هي الزبونة ألتي كانت المتصلة بالأمس .

تقدمت نحوها وهي تنهي مكالمتها وتغلق الهاتف ورحبت بها عارضة عليها كتيب خاص بالمعرض يشمل أخر المنحوتات وأنواع الزخارف المتوافرة وتفاصيل أخرى خاصة بالمعرض .

كانت تتحدث بلباقة وبعبارات منتقاة ،وبنبرة هادئة ، وبلهجة لبنانية حلوة ، وهو كان يراقبها من بعيد ويتأمل لكل تفاصيلها الجميلة ، ويقارن حضورها المرح في الحديقة في وحضورها الرزين في المعرض كانت تبدو مختلفة تماما بزيها الرسمي، وهي تمارس عملها باستمتاع ملفت .

وفي أثنا انهماكها في الشرح استدارت بحركة عفوية وعلى الفور أجفلت وظهرت نظرات الارتباك في عينيها . وبحركة متصنعة تعمدت عدم الانتباه أليه وهو يكمل ما ابتدأه من نزال التحدي .

وبعد ما اتخذت منتهى قرارها وحزمت أمرها في اختيار القطعة والزخرفة أشارت أليه بالاقتراب فقط ليدلي بثنائه على اختيارها .

كانت لارا تراقب خطواته وهو يتقدم نحوها بعجرفة مكابر و بغرور متغطرس القى عليها التحية وصافحها مادا يده اليها وحالما لامست اصابعها الناعمة يده احس بتيارات كهربائية تتسرب تحت جلده . ملقية به إلى الشوارع المعتقة . محلقة به إلى أساطير فينوس ، وملاحم سلامبو الخالدة ،ومنطقيات أرسطو ،مارة به بمحاذاة قصائد نزار العشقية ، منتهية بمقولات أحلام المجنونة .

سحبت لارا يدها بسرعة ملحوظة أثارت ريبة منتهى !

قالت لارا بتوتر:

- حسننا اذا ستكون منحوتتكم جاهزة غدا في نفس هذا الوقت .

قالت منتهى:

-شكرا جزيلا جدا .

قالت لارا:
-أهلا وسهلا دائما .

كان هو صامتا ينظر ويستمع إليها مظهراً لا مبالاته بما تقول وكان يحدث نفسه بأنها مجرد امرأة تجيد وضع الأقنعة متى تشاء وكيفما تشاء .

وفي اليوم التالي ، وفي نفس الموعد ذهب بمفرده إلى المعرض لوحده .

فمنتهى تعللت بانشغالها بإحدى واجباتها الإستذكارية .

مرتديا سروال الجينز، وقميص كشميري بلون كاكي ، يزينه شال يتدلى فوقه ملفوف اعلى رقبته بعد أن أرتدى نظارته الشمسية ، واضعاً جلباب المكابرة على قلبه.

ترجل من سيارته هذه المرة بعد أن حفظ منعطفات الطريق .كانت لارا تنتظره مصرة على خوض معركة صريحة وصارمة معه . فهي امرأ ة لا ترضيها انصاف المواقف ، ولا أشباه المشاعر.

وتوجه ناحيتها والقى تحية متكلفة وبادلته بابتسامة مهذبة ودلفت من فورها لتحضر المنحوتة وقد غلفتها بإحكام واضعة إياها في صندوق من ورق الكرتون حتى لا تنكسر .

وضعتها على المنضدة لتطبع الفاتورة وعند انتهائها منها قدمتها له بنظرة ماكرة وابتسامة خبيثة قالت له مُباغتةٌ كل التوقعات :
- لكم يعجبني كبريائك و تعجبني طريقتك في مدارة اجتياحي لخيالك !!!!!
نظر إليها بدهشة محدقاً إليها ....وهو يحاول التركيز على كلماتها .. أكملت لارا حديثها ..:
- أنا امرأة وأعرف بذكاء انثى ومن ردودك المكابرة بأني أعجبك وأستهويك !!!!!

فقال ساخراً :

- هل أنت التفاحة الملعونة التي اغوت آدم ؟؟

فقالت مُتحدية :
- يكفيني رؤيتك مرتديا نظارتك الشمسية بداخل هذا المعرض المضلل وبهذا الوقت لأتيقن بأنك تنازع احساسا تولد فيك تخبئه في عيناك خلف نظارتك !!

قال:

-من قال بأننا نفهم الآخر من خلال لغة العيون ..؟؟؟

قالت لارا:
ـــاها أحقا؟ أهي قصيدة جديدة ؟ أو نظرية عصرية ؟

قال :

- نعم فالعيون تكذب كما يكذب صاحبها لأنها تصدق ما يقوله وتتآمر معه ،فأنا لي قناعاتي بأن أنفاس الا نسان هي من تقول الحقيقة وتشرح ما يحاول مداراته .

قالت :

-أنت محق فأنا أميز موجاتك ولهاثها ولهفتك من غرورها .

قال:

- يبدو لي بأنكِ محترفة في اصطياد الرجال ..ولكن صدقيني فأنا لست من النوع اللذي تعتقدين قالت :

-وأنا لذي قناعة بأننا لا يمكن أبداً أن نعرف لذة حقائق الأشياء الا عندما نتأرجح من فوقها لنرى كم هي صغيرة ، ونزحف تحتها لنعرف كم كانت ضخمة .فالنظر مباشرة للأشياء يفقدها لذتها .

قال:

- تتحدثين ككاتبة ولغتك رائعة .

ضحكت لارا بغرور من بدأت بخلع أول مسمار من باب قلب رجلاً مثله ..لكم تحب النزال والتحدي وتنكيس القلوب .

قالت :

- وأنا لا أحترف اصطياد الرجال كما أنت تظنني ! لأنني لا أضيع وقتي في أقناع أحد بوجودي فأنا لا أطارد رجلاً لا يراني ....

هنالك مقولة لا أذكر من هو قائلها بأن هنالك أشخاص عندما تلتقي بهم فكأنك تلتقي بنفسك وربما أنت أحد هؤلاء الأشخاص !

نظر إلى وجهها المستدير وعيناها الصافيتان متأملاً رموشها ، متسائلاً في سره ترى كم رجلاً تدلي منها وهو يحاول تسلق عيناها ؟

نظرت أليه نظرة دلال ...فبربك أنها لارا بكل تفاصيلها تستجديك !!!

فقالت:

-هل سيطول وقوفنا هنا ؟

قالت :

- عذراً يبدو أنني أشغلك عن عملك أنا أسف .

قالت :

- أجل أنت كذلك ولهذا أنا أدعوك لشرب فنجان قهوة فهنالك مقهى حميم على مقربة من هنا .

تردد لحظة ولكنه قرر ترك العنان لجنونه هذه المرة وضرب كبرياء قلبه بعرض كل الحسابات ....

.خرجا بعد أن وضع المنحوتة في السيارة ،وأنطلق معها يسبقه احساسه الغامر بأمواجها الثائرة وباندفاعها العاصف نحوه ، وكم تناهى أليه بأنها تحاول ملامسة ظهر كفه بأصابعها الرشيقة ، شاردا في خصلات شعرها المتناثرة على جبينها

سألها بعد أن جلسا حول طاولة المقهى على أحدى الارصفة

– كم عمرك يا لارا في أي عام ولدت ؟

- أجابته أنا عمري ثلاثين عاما ولدت عام ١٩٨٢ م .

نظر إليها بدهشة فهي في نفس عمره تماما ولكن لارا كانت تبدو أصغر بكثير من عمرها .

فقال :- أنا ايضا ولدت في نفس العام أتصدقين ذلك ؟؟؟

قالت بدهشة :

- أحقا ؟؟أيعقل هذا؟؟ فأنت تبدو أكبر من عمرك بكثير على الأقل بعشر سنوات ...لا أقصد الاساءة، ولكن الخصلات البيضاء في شعرك والخطوط الدقيقة أسفل عينيك ...آه ، يبدو أنك لا تجيد الاستمتاع بالحياة .

فقال:

- لك كل الحق في أن تقولي ذلك فأنتم شعب كما نقول (عييش) يحب الحياة ويجيد فن الاستمتاع ،ويهوى السهر ،فأنتم كما قال عنكم أنيس منصور في أحدى مقالاته (شعب يواجه الصواريخ بواجهات زجاجية من فرطكم بحب الحياة).

قالت :
_نعم نحن كذلك شكرا جزيلا لك .
قال:
بالمناسبة رأيتك في ذلك اليوم في المقهى تقرئين رواية سقف الكفاية هل أعجبتك ؟؟ يهمني كثيرا أن أعرف رأيك ؟؟؟

قالت:

-قرأتها أجل واستمتعت جدا بزخم المشاعر ولكن لم تعجبني سادية مها أبداً.

قال والشغف يدفعه للحديث:

_أحقا وماذا قرأت أيضا؟؟ أخبريني يا لارا عن أكثر كتاب شعرتي بعد قلب صفحته الأخيرة بأنك امرأة مختلفة ...... بأنك شخص أخر؟

قالت:
- أجل قرأت الكثير فنحن ،أنا واخواتي منذ أن فتحنا أعيننا كانت هنالك مكتبه ضخمة مليئة بالكتب بكل أنواعها . فقد كان جدي من هواة جمع الكتب وقرأتها .وانتقلت الينا هذه الهواية من خلال والدي .فقد قرأت في طفولتي العديد من الكتب المختصة بأدب الأطفال مثل رواية لويس كارول ،مغامرات اليس في بلاد العجائب ، ورواية أيثل تيرنر ، الاستراليون الصغار السبعة ،وفي صباي قرأت أيضا الكثير ،كانت فترة المراهقة نقطة التحول في حياتي ، كنت التهم الكتب ، واقرأ الروايات الرومانسية بشغف مطلق. فقد قرأت روايات فيكتور هيجو ، وجميع ما كتب شكسبير ، ومؤلفات دوستوفيسكي ، وقرأت أيضا لليو تولوستو ي رائعته الحرب والسلام ، واعجبتني كثيرا رواية آنا كارنينا ، وفي هذه الاعوام الأخيرة قرأت ثلاثية احلام مستغانمي ، ومؤلفات نجيب محفوظ ، وطه حسين ،وكتابات واسيني ،وداون بروان ، وباولو كويلو ،ولكني بت أتجه للكتابات والأقلام العربية البارزة فمثلا......
قاطعها بلهفة تتفجر من ملامح وجهه

– يا لهي و كأنني أتحدث مع شخصي !! كم أنت مجنونة فأنا لا أشك بأنك قد قرأت للسياب والشيباني ولكن هل اقتربت من زينب حفني و اثير العبدلله فنحن نفتخر بهن ككاتبات خليجيات ...

قالت:

.
– بالطبع ، وجدا فأنا أحب الأقلام النسائية كثيراً ، وتعجبني كتابات زينب حفني كثيراً بالرغم من الأقاويل عنها بأنها كاتبة جنسية .

قال بدهشة :

- أحقا؟؟؟ أهذا يعني بأنك لا تجدينها كذلك ؟؟؟

قالت :

- بالتأكيد فمن تكتب عن أمر نمارسه بشكل يومي وتتناوله من عدة محاور، لا يبرر مطلقاً وصمها به، فكل الكاتبات والمفكرات خصوصا العربيات ،اضطهدت أفكارهن وأتهمن بالانحراف في بداية مشوا رهن ، فمن تكتب عن الحب وللحب مرجومه أخلاقياً من قبل أعداء الفكرة المستنيرة .

قال :

- أعداء الفكرة كُثر ومتنوعون ، فلكل فكرة عصابة من المحاربين ، فلو أجريتي عملية مقارنة بسيطة ستعلمين بأن اعداء الفكرة هم أحزاب ، وعصابات ،بعدد حروف ونقاط الفكرة نفسها وربما أكثر .

قالت :

- أنت كاتب أليس كذلك ؟

أطالت النظر أليه وكأنها قرأت أفكاره التي تجول في عيناه ، بأنه أستعاد يومه معها في (الكينغزبارك) عندما رأت دموعه المنحدرة ولكن ما اللذي كان يبكيه ولدية زوجة جميلة ومُحبة ؟ ......ولكنه دائم المرارة !!....

قال:

– أجل أنا كذلك فأنا أدون . وأفكر بنشر ديوان قصائدي الخاص وتغازلني رغبة بكتابة روايتي ولكنها مجرد فكرة .

بضحكة مثيرة وبنظرة تفيض بنشوة الانجاز قالت له :

– أنا أيضا أكتب وأدون في مواقع الانترنت وقد سبقتك في كتابة اولى فصول روايتي

تملكه الاحساس بالغيرة .

كيف تملك الوقت لتفعل كل هذا وتجد حيز أخر من الوقت لتسهر وتتسوق وترتاد المقاهي وتقيم علاقات صداقة وتمارس الاستفزاز كهواية ! قالت:

-أتمارس أي نوع من الرياضة ؟

قال:

-ها ...أنا لا أجذ الوقت !

قالت:

- ولما لا؟؟ أما أنا فأنتظم على ممارسة رياضة المشي السريع كل يوم ومند ساعات الصباح الأولى في حديقة الكينغز بارك .

مزيج من مشاعر الاعجاب بلارا والخجل من احساسه بخموله وكسله قد راوده، نظرت أليه وهي تعلم بشكل مطلق بأنه قد فهم بأنها فهمته وقرأته ..... فبادرته تقول: – لماذا لا تنظم ألي ؟؟ فأنا أتوجه إلى هناك عند الساعة السادسة صباحاً.

قال:
- يسعدني ذلك .
قالت:
- رائع جدا عظيم . .. صمتت قليلاً... وأكملت .....
-سأكون بانتظارك غدا في نفس المكان فأرجوك لا تتأخر... و الأن فأنا مضطرة للمغادرة فعملي بانتظاري .
وقفت بجانبه مصافحة وقربت شفتاها لتقبل خده فاحس برائحة عطرها تغمره مواصلة خلع مسامير باب قلبه ، أستنشق رائحتها فشعر بأن قدماه قد ارتفعت عن الأرض وأخذ يطفوا على موجة شهية وآثمة فسألها :
– ما هو العطر الذي تضعينه؟؟؟
– فأجابته وهي تهم باجتيازه بابتسامة أنثوية أخاذة- أنه – chanel22

استدارت واقفة وقالت :

– أيمكنني الحصول على رقم هاتفك الخاص ؟
همم

-لا مانع عندي .....

إلى أي مدى تود هذه المرأة اجتياحي ؟ وعلى أية موجة تود التحليق بي ؟ فأنا لا أملك أجنحة لديها المقدرة على أن تضاهي رغبتها الجامحة في تجديف حياتها إلى الاتجاه الذي تحدده هي وعند زوايا على مقاييسها وحدها .
رجع إلى المنزل بخطى خفيفة وكأنه كان واقف على غيمة ترفعه محلقةً به حاملاً العلبة الكرتونية إلى منتهى ، أخبرها بأنه ابتداء من الغد سوف يستيقظ باكراً متوجها إلى أحدى النوادي الرياضية ، فقد بدء يشعر وكأنه قد أزداد وزنه في الفترة الأخيرة لأننا دائما لا نفكر بمزاولة عادة الرياضة الا عند رغبتنا في أنقاص وزننا وكأننا بحاجة إلى بضعة كيلو جرامات زائدة لتدفعنا للإحساس بتلك الطاقة الحرارية تتدفق من عضلات أجسامنا وذلك الاحساس بنشوة الحياة ينطلق من أرواحنا .
عند بزوغ الفجر وامتداد أول خيط لضوء الشمس كان يدير محرك سيارته فاتحاً هاتفه النقال فباغتته رسالة نصية من لارا ....تحدق إليه باشتهاء ..شعر كأن أحرف كلماتها ستغادر شاشة الهاتف وتخترق صدره لثير صخب بداخله مبعثرة كل ما كان يسكنه من كلمات وقصائد ....

– ما أصعب الانتظار على قلباً كقلبي كلما ملأتني الدنيا صبراً لبعدك ملأتني أنت شوقاً أليك وتباطأت غيومي في سمائك ..
وصل إلى الحديقة وكانت لارا قد شرعت في مشيها تنبهت لقدومه فانعطفت باتجاهه يغمرها اشتياق تفضحه عيناها فقالت :
-خفت كثيراً الا تأتي كنت بانتظارك .

فقال :
- حقا كنت بانتظاري ؟

نظر إليها متجاهلا انضمامة نهديها البارزة من فتحة التي شيرت مظهرا بياضهما متناسيا رسالتها النصية .

فقالت :
- بالتأكيد فأنا اشتقت للحديث معك فقد كان الجلوس معك شيقاً وحضورك ساحر.
استدارت مكملة مشيها وتبعها بدوره ، كانت تسبقه بعدة خطوات لاهثاً محاولاً اللحاق بها ومجاراتها .

كانت موجات ضوء الشمس تلهث أيضا في اللحاق بها لتطبع قبلة على خصلات شعرها المتناثرة . وكانت الأرض تزهر وتخضر مبعثرة حبات الرمل الصغيرة كلما لكمت قدمها الصغيرة الأرض من تحتها .

أكان يخيل أليه أم أنها حقيقة ، بأن لارا تجعل كل شيء تمر به يضج بصخب الحياة .

كان مستمتعاً جداً برفقتها ، وهي كانت تشعر باستمتاعه ومتأكدة تماماً بأن عيناه كانت تقضم نصيبه من استدارة خصرها.

توقف عند أحدى المقاعد ملقياً بثقله عليه ، وهو يحاول أن يلتقط أنفاسه فانضمت أليه ملقية بجسدها النحيل بالقرب منه .

نظرت أليه والعرق يتصبب من أعلى جبينه فمدت أصابع يدها لتمررها على خصلات شعره فأحس بالخجل فأزاح رأسه بعيدا عن أصابعها ، نافضاً عنه موجة مجنونة تسربت إلى أعماقه من نظراتها ورائحة أنفاسها .

ابتسمت لارا وهي تعلم بأن مقاومته لا تعني الا خوفه من احتلالها له ....أو ربما هي فعلاً بدأت باحتلاله...

قالت:

- أنت لا تتحدث كثيراً عن نفسك هل الصمت أحدى نزعاتك الذكورية ؟؟؟

قال:
-أحيانا يكون صمتنا أكثر أوضاعنا صخباً.. فعقولنا لا تكف عن الثرثرة المتلاحقة واذا حاولت اسكاتها تبدأ بالصراخ وشتمك بكل الأفكار التي ظللت تدفعها إلى أعمق نقطة من حفرة الذاكرة . قالت:

- أني أشعر بلذة وأنا اصغي أليك هل لي بأن أسالك سؤلاً ؟ماذا علمتك الحياة ؟

قال :

_الحياة لا تعلمنا شيء الا مذاق الأشياء بعدما تصبح منتهية الصلاحية ..فأنا. أصبحت أكره الجمل التي تبدأ بعبارة علمتني الحياة .

قالت : -
_كلامك الجميل ذكرني بقصيدة للكاتبة سعاد الصباح .....
قال :–وماهي ؟؟
يا سيدي يا لذي دوما يعيد ترتيب أيامي
وتشكيل انوثتي
أريد أن اتكئ على حنان كلماتك
حتى لا أبقى في العراء
وأريد أن أدخل في شرايين يديك
حتى لا أظل في المنفى
قال :- ولماذا أذكرك بها ؟
قالت :- فأنت حينما تتحدث فأني أشعر بك تحنو على الكلمات فأنت رجلا استثنائي وشاعر استثنائي فربما لأنني أمارس عادة الكتابة فأنا افهم ما معني أن تتعسر أفكارك وسط مخاض الكلمات .

قال:- لماذا قررت كتابة رواية يا لارا ؟
قالت :-لأنني أردت أن أجمعني في كتاب .
قال :-أنتِ قصيدة غريبة يا لارا ففي الوقت الذي أشعر فيه بأنك ممسكة بأطراف بساط حياتك بيد وعصاة رغباتك السحرية باليد الأخرى، الا أني أرى فيكِ ومضات خافتة وسريعة ، كم أنتِ أنثى ...وأنثى لأقصى حدود الأنوثة .

قالت :
- أستميحك عذرا فأنا لا أتفق معك فالأنوثة paower أنها قدرة المرأة على صياغة ذاتها أنها فن قد لا تتقنه الكثيرات أو تجيد تجسيده وقد يخطئن في فهم معناه ....أنها طريقة ذكية لتكوني مرآءة شفافة تعكس ذكورة رجل بكل تفاصيله الجوهرية .

قال:
– سأغادر الآن التقيك غدا ...

قالت :
– إلى اللقاء اذا .
غاص في مقعد سيارته وغاصت أفكاره محاولا ترتيب مشاعره على صوت فيروز المتعالي بنغمة وجع .

كانت منتهى تهم بالمغادرة عند دخوله ولكنه أوقفها ليسألها عن موعد ذهابها إلى حفلة عيد ميلاد صديقتها ريم ، فأخبرته بأنه يصادف مساء السبت وقد تذهب مبكرة جدا لتساعدها في تجهيز المكان ملمحه بتهذيب خجول بأنها دعت صديقاتها الاناث المقربات فقط .

.فتحركت رغباته المختبئة و الرازحة تحت ثقل مبادئ لم تكن الا نقاط متتالية في أجندة رجل لم يعرف ما معنى أن تحتله امرأة وتخترق أفكاره وتشاكس رغباته ...رجل لم يعرف حتى الان ما معنى أن يباغته شوق كطوفان لا يعلم من أين جاء ومتي أبتدأ ومن أية نقطة قد انطلق مسعورا باتجاهه ، وكيف   توجه أليه وإلى أين سينتهي به وكم يبلغ طول خطوطه واتساع مساحاته ....رجلا لا يعرف ما معنى أن يكون قلبه نائما و توقظه امرأة على هدير صاخب ...رجلا لم يلتقي يوما بامرأة توأم روحه ...كما تقول هي ....أنثى تعكس ذكورته ..ورجلاً تقدم له امرأة بكلتا يديها الشهية التفاحة المحرمة على مسؤولية اشتياقها، وبضمانة تحملها كل خطاياه الآثمة مدفوعة فاتورتها اقساطاً مقدمة من رصيد حزنها ،ودموعها ، وفي أحدى شقق الخدلان المفروشة بالنسيان ..

فهنالك نساء مداها بعد واحد فقط من مدآرات الرجل ، وهنالك نساء لديها القدرة على اختصار محاوره كلها في قمر وآحد ليأخذ مساره في الدوران حول كوكبها هي فقط ، ووحدها المرأة الانثى قادرة على توجيه مذنب ضل اتجاهه إليها ....وعلى لملمة نيزك تناثرت اجزاْه موزعة في كل المجرات   ..

.تذكر ما قرأه مرة بأن هنالك نساء هن أشهى في الغياب ...قال في نفسه :

((فكلما ابتعدت بخطواتي عن لارا يزيد اشتياقي وكأن روحي بحاجة إلى مساحة ذاكرة لتستوعب سطور امرأة مثلها   ....فامرأة مزاجية الجنون مثلها قد خُلقت لرجل يقتات العزلة مثلي ..... فهناك علاقات تُخنق في مهدها ، وهناك علاقات تصيبها الشيخوخة في صباها وهناك علاقات أخرى تترسب سريعا بعد لحظة خاطفة من الفوران ... . ولارا لعنة بركانية تصيبني حمم سحرها أينما اختبأت ...لارا طوفان أغرقني حتى قبل أن أنتبه لاندفاعه نحوي فأنا لم استيقظ من غفلتي الا وأنا ملقى ، تحتضنني أحدى شواطئها الرملية التي ترامت نخيل اللهفة حول أطرافها ....تضللني غيوم عيناها ..)).

أستحم بسرعة وأرتدى ملابسه على عجل وهو لا يترك مجالاً لنقاط مبادئه بمناقشته ملوحاً لها بعصبية أن ليس الآن فلتذهبي عرض الجحيم فلم تكن الحياة يوماً أثما ليكون الحب خطيئة فنحن لا نحتاج المبادئ التي ترغمنا على حمل أكفاننا واقفين على أطراف قبورنا نستجدي الموت بعدما وهبنا الله نعمة الحياة .

وبحركة رشيقة وواثقة أخرج هاتفه النقال ليطلب رقمها باغته صوتها يهمس من خلف الجهاز وكأنه يحمل بين موجاته حرارة اشتياق ومن أنفاسها المتقطعة تأكد بأنها كانت تنتظر مكالمته لها بشغف مماثل.

فما أجمل الأشياء العفوية التي يحرضنا الحب على فعلها ... فهو يقلب أكثر الناس عقلا ورزانة إلى أطفال مجانين ....

سبقها بالتحدث وبنبرة حنونه :
- اشتقتك !

قالت :
- الحب مجحف حقا ..فكل الكلمات والأحرف الثمانية والعشرون تتعثر في شرحه وملاحقة خلجاته اللاهثة .

قال :
-لم تمضي ساعة واحدة على وداعنا وها أنا ذا أطلبك فبربك يا لارا كوني منصفة بحق اشتياقي ..مع أننا اتفقنا على الالتقاء غداً ولكني أتمنى رؤيتك في فترة الغداء في المقهى القريب من المعرض أيمكنني ؟؟

قالت :
-ما الذي يحرضنا على الاشتياق برأيك ؟أهو غياب الأخر أو غياب أبسط تفاصيله ؟

قال :
- سأجيبك بطريقتي الخاصة عندما اراك يا لارا !! إلى اللقاء .
أغلق الهاتف مودعاً لارا وهو يحدث قلبه ......كم ستكون الساعات القادمة ملحة في التباطؤ فأنا أعلم بأن الوقت يذل قلوب الملتاعين شوقا........ كان احساساً مختلفاً تماماً وملتهباً جداً.

فأن تشتاق لأحدهم وتعرف يقينا بأنه يبادلك الشوق أضعافك . أن تحب الآخر وأنت تعلم بأنه يبادلك الحب عشقاً ..أن تكون سعيدا بلقائه وهو ممتن لحياته لوجودك في بعض تفاصيلها .

قال في نفسه :

((أيعقل بأن الحياة قررت أن تهبني عمرا جديد .))

قلب أغنية صاخبة وأنطلق وهو يهدأ اللسنة أشواقه المشتعلة ...كان على موعد مع امرأة ظل سنوات طويلة يفتش عنها في داخله....... امرأة تقرأ عيناه وتحتل أوراقه وتركض على سطورها وتركل حروفها لتقيم وحدها في قصائده ...

بعد مرور ساعات طويلة ، سبقها إلى أحدى الطاولات في المقهى وهو جالساً ينتظر وكل أغاني الاشتياق وقصائد العشق قد مرت بمحاذاة قلبه...

كان اقترابها منه مثرثر.. ..

اشتاقك ..انفجر عشقا ..

أنت تغزوني ...أنا أنثاك ..

.قلبي يسبقني في التدحرج أليك ..

.أهديك كل قصائدي وأثوابي وأساوري .

..كن لي وسأكون لك وحدك .

.فأنت لي وقلبك منذ الزمان العتيق كان بحوزتي ..

.جلست بمواجهته مبتسمة تضحك ضحكتها العذبة والمثيرة ، وهوكان يبحر في عيناها ويجدف في خصلات شعرها ، ويبتلعه شق نهداها ليغرق في أعماقهما ، فيطفو نائما ما بين أنضمامة شفتيها .

قال :
– للقهوة مذاق مختلف بصحبتك فأنت تجعلين لكل شيء طقوس .

قالت :
- أنت لم تخبرني بكاتبك المفضل ؟ في الحقية أنا لا أعرف أي شيء عنك ؟ أبتسم بمرارة مطرقا .

قال :
- أنا رجل عربي من منطقة الخليج العربي ولدت في أحدى الحارات الشعبية الملتهبة شوارعها وجدرانها من حرارة الشمس صيفا والسابحة في رطوبة باردة شتاء .

نشأت وبداخلي الاحساس بموقعي كأكبر أخوتي ومن تتكئ عليه والدتي .تعلمت في مدارس مدينتي الحكومية ، وأكملت دراستي في جامعة العاصمة وبعد تخرجي حصلت على وظيفة في مؤسسة خاصة ، كنت أعول في سنوات دخلي الأولى عائلتي ، ولم تمهلني أمي وقتا طويلا بعد تخرجي وحصولي على الوظيفة حتى بدأت تلح بإصرار لهفة الأمهات لرؤية أحفادهن . فاختارت لي جوهرة فريدة .... منتهى.. كانت فتاة مهذبة وحلوة وقد أكملت تعليمها بتفوق. كان عمري سبعة وعشرون عاماً، وكانت هي في الثالثة والعشرين امتدت خطبتنا عامان كاملان فتزوجنا وانتقلنا إلى هنا ، بعد التحاقي ببرنامج المبتعثين لأكمل دراسة الماجستير، ونحن هنا منذ عام تقريبا .

قالت :
- أتلهف كثيرا للالتقاء بوالدتك فلابد من أنها امرأة عظيمة لتجنب رجلاً مثلك .
ابتسم بكبرياء وتابع حديثه مسترسلاً :
- أحب القراءة وأحب كثيرا الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي وتعجبني قصائد الشاعر المفكر اللبناني جبران خليل جبران .

فأنا مثلك أهوى قراءة كل شيء .وبي توق مجنون للمعرفة وأحب أغاني فيروز. فأنا اؤمن بسحر الالحان وقدرتها على امتصاص طاقتنا السلبية، وتهدئة اعصابنا ، وفي سكون الليل تجتاحني الرغبة لسماع أغاني أم كلثوم . فالموسيقى تريحني كثيرا ....فهذا أنا بكلي.... إلى أن أتيتي ..

كانت تصغي إلى كلامه وهي تتأمله وعند انتهائه امتدت أصابع كلتا يديها لتعانق بلهفة اصابعه وكأنها عروس بحر تسبح بين أموج خطوط كفيه المتعرقة، والمتشابكة حركت شفتاها هامسة له ....
– أحبك ..

قال :
- أنتِ مجنونة لتحبي رجلاً لا تعرفينه من نظرة واحدة .. هل أنتِ هكذا دائماً مُندفعة بجنون مشاعرك مراهنة على تخمينات قلبك .

قالت:
- صدقني فأنا لا أملك الوقت لتعيش جنوني ...ولا أملك الوقت لتختبر نفاذ صبري ..فأنا ولدت على غيمة مزاجية ....متمددة في سماء متقلبة ...فلا تعاتبني فالغيوم لا يستجديها العتاب
قال:
- تعجبني مزآجيتك ، وأحب جنونك ، ولكني لا أعاتبك ، فأنا لا أملك الاختيار في رفض بعضك .

قالت : - أحبك ولست مضطرة لأبرر لأحد مشاعري فهذه أيضا أنا .

قالت :-أود لقائك الليلة أتقبل دعوتي ؟
قال:-إلى أين تودين أخذي معك أيتها المجنونة ؟
قالت :-هنالك ملهى ليلي أرتاده في أغلب الليالي أود كثيرا بأن أعرفك إلى بعض الأشخاص، فأنا لا اكف عن التحدث أليهم عنك ..
قال:– ولكني لا أخرج بعد العشاء و لا استطيع ترك منتهى بمفردها .
قالت :-ولما ؟ الا تسهران ؟
قال :- بلا فنحن نسهر أيام الآحاد ولكن في باقي الأيام أنا أفضل الجلوس منكباُ على إحدى الكتب بينما منتهى تنهي عملها في المطبخ .
قالت :- واووو!! كم أنت طاعن في الملل ....أنا مصرة لقدومك معي وإذا لم تشعر بالارتياح اعدك بأني سأهم بالمغادرة معك ولن أكرر طلبي مرة اخرى .
قال :- ليس كما تظنيني فأنا ارتدت الملاهي الليلية مرات عدة ، ولكن الوضع مختلف بوجود منتهى بمفردها في المنزل فأنا أشعر بالمسؤولية تجاهها وكأن أباها قد اعطاني أمانة احرص عليها .
قالت - لكم احسدها على زوج مثلك فأنت رجلاً تتمناه كل النساء .
ضحك بصوت مرتفع وقال :
– ولماذا؟؟ فأنا رجلاً عادي بكل المقاييس فقط أنا احاول أن اقوم بواجبي ..
. نظرت أليه وقد مالت باتجاهه بانحناءة تظهر المزيد من بياض ثدييها فقالت له بصوت منخفض..
-ولكن الواجب إذا تجاوز خصوصياتنا وكان على حساب رغباتنا الشخصية فهو يدخل في حيز التضحية ...

أمال رأسه مفتعلاً النظر إلى ساعته ...وقال :
- أعتقد بأنني قد تأخرت ..
قالت :
– أتدري بأني قد سافرت مرة إلى ايطاليا بعدما قرأت رواية.. طعام ..صلاة.. حب .. للكاتبة الامريكية اليزابيث جيلبيرت جرفني فضول لتذوق بيتزا نابولي فأنا لا اؤجل الحياة أبدا .فلا شيء يستحق الانتظار. فكلما أتيحت لي الفرصة للاستمتاع من المستحيل أن اضيعها .
قال:
- وكيف كان مذاقها؟؟ أهي كما وصفتها في صفحاتها أم هي مجرد مبالغات كاتبة ؟؟
قالت :
- شعرت وكأني جوليا روبرتس في الفيلم وهي تقضم أطراف البيتزا .كانت لذيذة حقاً وأجل هي كما وصفتها الكاتبة ....أتعلم ما يستحضرني الآن من هذا الكتاب وأكثر ما كررت قرأته لدرجة أني قد حفظته ؟؟؟
قال:– ما هو؟
قالت :- توؤم الروح هو الشخص الذي يريك كل ما يعيقك ...الشخص الذي يلفت انتباهك الى نفسك لكي تغيري حياتك... يمزق جدرانك ويهزك بقوة لكي تستفيقي ...فتوؤم الروح يدخلون حياتك لكي يكشفوا لك طبقة أخرى من ذاتك ثم يرحلون .....
نظر إليها بصمت محاولاً أن يفهم المغزى من كلامها وإلى ماذا ترمي بقولها ثم يرحلون !!!! .
-سالته متوسلة اليه ...هل ستاتي؟؟ ..
.أرجوووك ...بلييززز
قال : - سأحاول ....إلى اللقاء الأن .
ترجل واقفا وهو يصافحها فوقفت ملتصقة به وأمسكت مرة أخرى بأطراف أصابعه وهي تنظر إلى عينيه بعينيها ..باشتهاء المشتاقين تملكته رغبات متضاربة نحوها فغادر مسرعا رصيف المقهى وكأن اعصار لارا يلاحقه ويحاول ابتلاعه .

في المساء كان يركب موجة من التردد في ترك منتهى لوحدها والحماس في رؤية باقي أقنعة لارا .كما بات يردد في سره ، فقد أخبر منتهى بأنه على موعد مع صديقه سمير العراقي في

المقهى المعتاد، لأمر خاص بأطروحة يعمل عليها عن الشاعر العراقي بدر شاكر السياب، وأنه سوف يتأخر، قليلا فمن المستحسن لها بأن تخلد للنوم ، وأن لا تنتظره ، منبها لها ومؤكدا باهتمام مُلفت بأن تّحكم قفل الباب .

توجه إلى الملهى الليلي تحت اضواء الليل في شوارع بيرث المتلئلئه حيث تنتظره لارا هناك وانسل إلى الداخل .

لم يكن هذا الملهى الا علبة ليلية تنبعث منها رائحة الخمور تسبح في أمواج من الموسيقى الصاخبة ،وتطوف فيها سحابات من الدخان المتصاعد من اعواد السيجار، تنفثه قطط وذئاب ليلية اعتادت التسكع ليلاً والتمرغ بالرذائل الفاحشة تحت مبررات الانفتاح والاستمتاع بالحياة وكما يقولون ويرددون ساعة لربك (العبادة) وساعة لقلبك (الفاحشة) مع أنه من المنطق لأبسط العقول ثقافة بأنه من المفترض أن تكون الساعة ألتي تقضيها في التقرب لربك أن تولد لديك عزوف عن الساعة الخاصة بقلبك لو كانت صادقة !! .

أتخد لنفسه مقعد بالقرب من المشرب .

لمحته لارا منتبهة لوجوده بينما كانت منهمكة في التحدث إلى على ما يبدو أصدقاء لها من الشبان .

فتوجهت مسرعة أليه وهي ترفل بفستانها الزيتي القصير الملتصق بجسدها ،والذي كان يظهر أكثر مما يستر ويبرز تقاطيع جسدها الأنثوي الصارخ .

أقبلت عليه وقبلته قبلة سريعة على خده ونظرت أليه بسعادة غامرة وهي تستجديه بدلال ليرقص معها ، ولكنه فضل الجلوس والاستمتاع بالمشاهدة ، كان يتأملها مبتعدة بخطوات غنج إلى الوراء، فوقفت على مرئ منه رافعة يديها إلى أعلى خصلات شعرها ،وعلى أنغام الموسيقى الراقصة ، لتبدأ بتحريك جسدها بحركة افعوانيه... مؤذية رقصة شرقية باحتراف مثير وبمهارة راقصة .

أخذ يتأملها سارحاً في خصرها النحيل الذي يتمايل برشاقة.. و بأردافها المكتنزة المستديرة رافعة نهدها الشامخ ...كانت ترقص مؤكدة له بما سمعه وقرائه من قبل بأن الرقص الشرقي منذ القدم لم يكن الا رسالة يؤدى من خلالها حركات جسدية تعبر عن الرغبات الجنسية للمرأة قال في نفسه ساخراً:

..((.أيا يكن ! فما الذي اتوقعه من امرأة كلارا أن تفعله في هذا الوقت من الليل ...هل توقعت منها أن تفترش سجادة الصلوات وتشرع في التسبيح والتهجد بالأدعية رافعة كلتا يديها إلى السماء تتوسل إلى الله تعالى ليهديها إلى الصراط المستقيم!!))...

ضحك في سره... أنها إحدى اقنعة لارا أو ربما إحدى وجوهها الحقيقة.

فنحن لا نضع الاقنعة ...نحن نُسقط عنا القناع تلو القناع لنظهر وجوهنا المتعددة تحتها بعدد نزعاتنا وشهواتنا ورغباتنا وفضائلنا و رذألنا ..

.بعدما توقفت انغام الاغنية لتبدا من فورها اغنية أخرى تركت لارا منصة الرقص لتتوجه أليه تغمرها نشوة تطفر من ملامح وجهها .

أخذت لنفسها مقعدا على مقربة منه رافعة كاسها إلى شفتاها ، دافعة بجرعة كبيرة من الشراب الكحولي إلى حلقها ، ابتسمت أليه وهي تنظر إلى كاس عصير البرتقال بجانبه على منضدة المشرب .

فأشار رافعا يديه وقال :
– أنا الا أشرب الكحول .
قالت :- أني احترم رغباتك ...ألم تغير رأيك في الرقص معي ؟
قال :-آسف فأنا منهك ... سأغادر الأن إلى اللقاء غدا .

وصل إلى الباب ليهم بالخروج فأستدار ليلقي نظرة أخيرة إلى لارا فقد كانت تكمل رقصها على أنغام أغنية للمغنية اللاتينية Jennifer lopez مستمتعة بالقفز والركل .

ترجل إلى مقعد سيارته وفي رأسه ألف فكرة وفكرة ....

((ليس هنالك من امرأة كاملة لماذا؟؟ أيعقل بأن يكون الله قد خلق النساء كما يقولون ناقصات عقل !!! لنشعر بمكافئة الكمال في نساء الجنة الحور العين ولكني سمعت عن نساء كان الكمال يتباهى بهن ...نساء مكتملات الدين والعقل والجمال الجسدي والروحي ...ولكن لماذا هؤلاء النساء دائما نسمع عنهن فقط ولا نراهن ..هل اعتادت أرواحنا المليئة بالرواسب الشائبة النواقص الى درجة أصبحت لا تستوعب الكمال لو التقيناه . أيعقل بأن نكون قد تمادينا في التقلص الأخلاقي إلى حد تعجز فيه ارواحنا عن ادراك تمدد الكمال الذي هو موجود مطلقا ولكننا لا نراه ،أو لا نريد اجهاد أنفسنا لكي نراه ؟؟))

نفض عن رأسه هذه الزوابع الميتافزيقية فور وصوله إلى المنزل . حشر المفتاح في القفل ودخل متوجها إلى فراشه ملقيا بكل متناقضاته الوجودية بالقرب من منتهى الغارقة في نوم ملائكي .

تأمل وجهها وكأنه يحاول أن يستمد لنفسه من إناء روحها قطرات من الطهارة ليغسل بها أدران قد علقت به على غفلة .

وكأن فراش الزواجات حوض للاغتسال من الخطيئة و ألاثم . ونام على مشاعر مبهمة لا يعرف أيها يصدق .

الفصل الرابع ________________________________

أكان علي أن أكون شرس، وأكثر قساوة مما كنت عليه ..وأنا أقاوم بضراوة حبا أعرف مسبقا بأنه مقبلا على احتلال كل محاوري ...مختبأ بخبث خلف أقنعة كنت اعتقد مسبقا بأني أنا من يختبئ خلفها ولكني كلما خلعت أحدها وجدتك .

.توجه إلى حديقة الكينغزبارك فور استيقاظه على مجموعة من تراكمات المشاهد المتدافعة في منامه ..فقد كانت منتهى مستلقية بقربه تتأمله بحنان ... وتحاول مداعبته ومشاكسته ولكنه قفز مسرعاً مرتديا ملابسه الخاصة بأداء رياضة المشي.

خرج مندفعا بنشاط تغمره مشاعر متضاربة ، معلق ما بين انجذابه ونفوره . مشتت ما بين جوانب لارا المتناقضة ...

منتبه لحضورها وزهوها بنفسها كانت تتقدم أليه بخطوات رشيقة ..بخطوات الملوك الجالسين على عروش أحتلوها بعد معارك دامية .

التقطت يده وصافحته ممسكة بأصابعه بكلتا يديها هامسة له بعذوبة :
-اشتقتك ..كلي قد أشتاقك .
أمعن النظر إليها ..كانت مختلفة تماماً كزهرة جميلة على غصن أخضر ..

قال في نفسه :((.آلهي كم أحبها... وأحب كل شيء تراه عيناها ، وأحب الكلمات ألتي تقف متزحلقة على شفتاها ، وتلك التي تفر من فمها بشقاوة ...لذيذة أنتِ ...شهية لدرجة الألم .... ومؤلم حبكِ لدرجة المرض))

قالت :
- لقد غادرت مبكراً ليلة أمس ؟؟

قال:
- وأنت تابعتي رقصك مع أنك قد وعدتني بالمغادرة معي في حال لم يعجبني المكان .

قالت :
- فكرت في طلب رقم هاتفك لمحادثتك ولكني خفت من أن تكون قد خلدت للنوم ..أيمكنني

التحدث أليك عبر برنامج الشات حينما تكون متفرغاً ؟ الا يضايقك هذا ؟
قال :- حسنا، ولكن ليس كثيرا ، وليكن في علمك فأنا لا اؤمن بالعلاقات الرقمية .
انطلقت لارا مسرعة في مشيها غير مبالية بتنبيهاته ، فهي امرأة تعيش بشروطها هي ..وأنطلق هو بدوره خلفها فهو رجلاً لا يعيش بشروط أحد .
أكمل دورة كاملة ولمدة نصف ساعة وربع الساعة ، كان يشعر بانطلاق تعبه ، و بتحرر روحه . ومن ثم توجه إلى حيث أوقف سيارته .فتبعته لارا وهي تلهث مناديه بإسمه .

كم كان لأسمه نغمة مختلفة حالما انطلق من فمها كانت موسيقى وذات شجن وقفت تلح عليه رائحة عطرها بالمكوث قليلا.. فهي تعرف كيف تقول ما تريد بدون أية كلمة .

نظر إليها وهو عاقد العزم على وضع خطوط حمراء فمن الأن لارا شخص يعجبني ويشاطرني الكثير من هواياتي وميولي الفكرية لا أكثر.. نظر إليها وابتدائها بالكلام ..
- قد تكون أفكاري رجعية وأسلوب حياتي متخلف بالنسبة إلى مقاييسك ، أنا أيضا أعتقد من وجهة نظري بأن المرأة مهما كانت جميلة ومثقفة ، تسقط قيمتها حينما لا تكون عفيفة .
لم يدهشها كلامه لأنها تعلمت بسرعة ترجمة نظراته ، كانت مُخمنة هجومه من طريقة انسحابه من الملهى الليلي، دفعها الاعتداد بالذات النابع من غرورها المتضخم لترد عليه ..قالت :
- كلانا يعلم بأنك تتمنى لوكنت أنا !! أتعلم ما الذي يقوله كاتبك اللبناني المحبب جبران في إحدى رسائله إلى مي زيادة .(.أنا أعلم بأن القليل في الحب لا يرضيك .كما أعلم أن القليل في الحب لا يرضيني أنت وأنا لا ولن نرضى بالقليل نحن نريد الكمال ...الكثير كل شيء)

فقال :
-ولكنه أيضا يقول:(ليست حقيقة الأنسان في ما يظهره لك بل بما لا يستطيع أن يظهره لذلك اذا أردت أن تعرفه فلا تصغ إلى ما يقوله بل إلى مالا يقوله .)....يبدو أنك تقرئين فقط ما يناسبك.. أريد أن اخبرك بأمر بالتأكيد لا تعرفينه.... قرأت مرة لأحد المفكرين ....بأن الانسان موجود متناقض فمها كانت درجة علمه وغزارة فكره فهو يظل أنسان تظهر في أحكامه الفكرية والعقائدية مورثاته البيئية فالأنسان مخلوق متناقض ومتردد ما بين نزعتين وهما الخير والشر ولهذا فأنت حينما تقرأ أي كتاب فمن المحتم بأنك ستجد تناقضات بين طياته الا كتاب واحد وهو القران الكريم كتاب الله تعالى فلو قرأته من أوله إلى أخره فلن تجد فيه أي تناقض ، والذي أعتقد بل أجزم بشكل قاطع بأنكِ لم تقرئيه ولو لمرة في حياتك ..يا عزيزتي أن الأنسان اذا لم يكن عقله المرشح الأول لكل الافكار التي حوله ابتلعته أفكاره ...أنا أرى بشكل جلي وواضح بأنك لا تمتلكين مناعة فكرية !!

قالت مُتحدية : -
_اووه أحقا طاما أنت مفكر عظيم ومثقف مُتبحر فلماذا اذا لم تشرع في كتابة روايتك للأن ونحن نعلم بأنه حلم كل مثقف هو أن يضمن حقوقه الفكرية والأدبية منشورة في كتاب يحمل أسمه .. أنت مجرد كاتب مزيف تقتات على قشور الكتب وتخاف من الاقتراب من تابو الحقيقة
قال :

-لأني لا أريد لأحد أن يقتحم عالمي ويتجول في مخيلتي ...أليست الكتابة أمضاء نصي صريح بدخول الناس إلى أكثر خصوصياتك حساسية وهي ما تخزنه من أسرار في بواطنك ...لقد تأخرت أنا ذاهب ...

صعد إلى مقعد سيارته وادار المحرك وأنطلق يحمل كبرياء عاشق مرمم، وثقافة شامخة محفوظة الكرامة .

فعندما تشتم أفكار أحد المثقفين فكأنك قد شتمت قبيلة بدوياً عربياً تجري في عروقه دماء الثائر من الطعن في الأنساب .

قرر أن يمضي قدماً في حياته برفقة زوجته ألتي لم تكن تكفي أميتها في ترجمة مشاعره وتعسرها في التوغل في دواخله ، الا أنها أيضا قررت أن تحيط نفسها بأشخاص جدد مُهمشة حضور زوجها بدون أن تشعر أو تنتبه إلى ما يدور في عالم زوجها السري.

كانت في معهد اللغة تتجاذب أطراف الحديث مع صديقتها الجديدة ريم في أحد زوايا المقصف . كانت تشتكي من برود زوجها وعزوفه عنها فهو لم يعد الزوج الملتهب ، وكما عادة أغلب النساء فهن تقضين وقت طويل في عرض تفاصيل المشكلة والشكوى والنواح ولكنهن لا تجدن الوقت للجلوس بجدية وبحث أسباب المشكلة ، وحلولها المقترحة، فما أكثر الكتب ألتي تحمل صفحتها أجوبة لأسئلة لم تطرق أذهاننا يوماً ولم نكن نعرف بوجود هذا النوع من الأسئلة من الأساس لأننا تربينا هكذا مدللون خاملون نخاف إن بدأت متاريس عقولنا بالتحرك فهي ستقودنا إلى المزيد من الأسئلة والمزيد من البحث ، أي يعني تقليص الوقت الذي نقضيه في الثرثرة وهذا أمر لا نرغب بحدوثه .
اقترحت عليها صديقتها بتحضير ليلة بأجواء رومانسية كما يسمونها ليلية حمراء!! ومن فورها تشربت الفكرة وتذكرت كم ذللته ب هكذا ليالي ولكنها اشياء يخطفنا بريقها فقط في المرة الاولى ويصبح اعتياد تكرارها في نطاق الروتين ..غارقين حتى أنوفنا بهذا الروتين ،،،،ولكنها قررت بإصرار أن تطرق كل وسيلة تطالها يدها لتكسر الحاجز الجليدي الذي يتمدد بسرعة بينها وبين زوجها ...

قالت ريم :
-الرجال مهما سويتين لهم ما يملي عيونهم شيء بس أنت جربي ما راح تخسرين !

قالت منتهى :
- على قولتك، ما راح أخسر شيء.. لكن أنا مليت من كثر ما أتقرب منه وهو أبد ولا كأني موجودة.. صدقين ساعات أحس أنو هو في عالم وأنا في عالم ثاني .. حتى لو كنا جالسين جنب بعض .

قالت ريم:
-هم الرجال كده بس تصير الوحدة تحبهم وتلاحقهم ما يشوفونها take it easy يا بعد عمري .

((لا أقبل المساومة في الحب ..ولا أقبل أن أكون الطرف الخاسر ..ففي الخسارة أشياء لا علاقة لها بالحب ..فألحب شيء لا يصمد وسط الانكسارات .))

..مبتدأ بالفصل الأول من روايته بعد مرور اسبوعين من نقاشه الحاد مع لارا ومنخطف لعالم يضج بالأثارة والنشوة ...أنه لم يعرف مشاعر بتلك الحدة طوال حياته ... وبدأت تساؤلات كثيرة تعذبه ؟ ؟ الا تشتاقه ؟ لما لم تحاول الاتصال به ؟هل تفكر فيه ؟ ما الذي تفعله الأن ؟

صار يشعر بالمهانة لأنه ترك أحدى ثقوب اشتياقه مفتوحة في روحه تزحف إليها أسئلته المُذلة ..((كانت مجرد اعصار مر بمحاذتي وبعثرني))..

.ممعن في كتابة سطوره هل من المعقول أن تجف أفكار كاتب بمجرد تدفق حبره على الورق ((لماذا كلما قررت الكتابة تهرب الكلمات مني لكم أخاف كثيرا أن يضاجع جنوني أوراقي فتولدين أنتِ ... كم هو مذل الاشتياق وكم هو موجع أن تعلم بأن من تشتاق لا يباذلك الاشتياق على الطرف الآخر.... فالوقت لا يزيدنا الا التهابا و عناداً))

.قرر الرجوع إلى المنزل نافضاً عنه أفكاره ألتي سلبته الاحساس بمرور الوقت ..فمحاولاته في الكتابة أخفقت هذه المرة .

مغادرا المقهى ومتمعناً في اسئلته الروحية ..أباتت تلك المراءة تسكن تحت جلده؟؟؟

((غريبة هي مشاعري ! فأنا افتقدني قبلها !!))

غريبين نحن عندما نبحث عن أشخاص يملؤون فراغاتنا ولكنهم حالما يتوغلون فأنهم يبدؤون ببعثرتنا فالحب يجردنا من حالة التوازن فنحن كالأطفال بسيقان لينة وعظام طرية لا نملك القدرة على المشي والانطلاق بمفردنا ،،،،قال في نفسه :

((ما أقسى احساسي بالوحدة في تلك الليلة يا لارا،،،، كان منظر العلبة الورقية التي تحوي منحوتتك بين يدي منتهى متأهبة للاستعداد للرحيل في ليلة الاحتفال بعيد ميلاد ريم ، يثير في داخلي رغبة في الحزن ، وكأني قد فقدت أخر خيط يربطني بك ، فعندما نفقد من نحب تصبح الأشياء التي تذكرنا بهم ضمن حيز المقدسات رغما عنا.!!..... كنت وحيدا بمفردي أحدق إلى صفحات إحدى الكتب ، فكلما قلبت صفحة وجدتك تنظرين إلي بعينيك البلورية ، فأنت كما الأفكار لا تستجدى ولكنها تقتحمنا بدون استئذان، تلتذ بمباغتتنا ونحن على عجل .كان يحيني صمتك وكلامك ..حضورك وغيابك))

أغلق نافذة أفكاره حالما فتح باب المنزل كانت منتهى في انتظاره وقد زينت المكان بقطع الشموع المصفوفة على حواف الأرفف ، ووضعت باقة كبيرة من الورود الحمراء في وسط المائدة تحيطها صحون بيضاء فارغة تنتظر وضع الطعام عليها . وقد نثرت وريقات ورود أخرى على غطاء السرير وفي حوض الاستحمام......

كانت تنتظره وهي تتمنى رؤية نظرات الدهشة والانبهار منعكسة في عينيه .

.أحس بالفرحة وغمره الاحساس باهتمامها ممتنا للجهد الذي بذلته لإسعاده .

شعور لا يمكنه تجاهله بأن منتهى لاتكن له مشاعر الحب ألتي يتمناها ، أنها لا تعرف كيف تدفأ قلبه .فدائما ما كان يشعر وكأن جسد منتهى قطعة من الجليد تكتسيها البرودة لأقصاها وزاده احساسه بكم هي متجمدة من الداخل ، بظهور نقيضتها لارا الملتهبة ، الصاخبة الدافئة المحتوية ، وألتي تجرفه بهمسها ، وترسل له ألف قصيدة وقصيدة بنظرة واحدة .

.((.كيف قفزتي هكذا بخفة إلى فراشنا يا لارا؟ أيعقل بأنكِ تتمادين في حضوركِ في حياتي إلى هذا ألحد .؟ .لست آثما فأنا لا أملك السيطرة على اقتحامك مخيلتي ..فأنا لا أملك الا الاستغفار على خطيئتي في تركك تنامين على وسادتي وتلتحفين غطائي آه يا لارا شعور مخيف بالفراغ يحتلني ..وكيف لفراغ احتلال مساحة صدري ..أخاف أن يتشعب ويمتد إلى حيز الفراغ الآخر ..الخوف الفارغ ..أنا منذ أن ولدت وهذا الاحساس يلازمني ويستولي علي ..دوامة الهواء وزوابع الرياح ألتي تبعثر متناقظاتي ومتشابهاتي ..أشيائي الصغيرة وأشيائي ألتي كبرت ..أنا كنت يوما أحدق واتوغل في فراغي، وعندما اقتربت منه واوشكت على إمساكه افلت مني ...ونسيته ونساني حينا و لكنه عاد وتذكرني الآن ...عاد ليخبرني بأنه لازال يمتلك أكثر مساحات قلبي ازدحاما ..أخاف بأن يجوفني يوماً وأصبح كائن آخر غير الذي عرفتني ..مشوها فراغياً ومخيف ..أتت لارا ونبشت دواخلي ، تاركة أقدامها تمشي متخبطة على أكثر رواسبي الموحلة .))

كانت منتهى تراقبه باستياء تغمرها الرغبة في الصراخ وهو شاردا عنها مبحرا يجدف مبتعدا قالت له وهي تحاول مدارة انفعالها تحاول لملمة كرامة أنوثتها :
– لماذا أنت باردا غير مباليا هكذا ؟ الست امرأة جميلة وتحبك ؟ برودك يحرجني أنها وصمة اعتراف بأني ما عدت الانثى المرغوبة في نظرك !؟

صمت ...! فأحيانا يكون الصمت هو الحل الأمثل و أحيانا يكون هو الحل الوحيد وهنا تكون المشكلة عندما يرغمنا من نحب على الصمت فقط لنحتفظ بهم ..أغضبها صمته فتابعت والدموع محتقنه في مقلتي عينيها :

- لماذا أنت صامتا هكذا ؟ لماذا تتعمد أن تتجاهلني ؟

فأجابها بصوت منخفض يغلبه الهدوء محاولاً قدر الإمكان أن يحتويها بحنان ، مُتجنبا الانجراف معها في انفعالها الذي بدأ يُسيطر على كلامها :
–أحيانا نضطر إلى النظر إلى الأمام حتى تتسنى لنا رؤية الماضي بصورة اوضح .

قالت :

- ما لذي تقصده بكلامك ؟ كنت دوما زوجة مطيعة ومخلصة وأحبك ..دائما ما أحببتك كنت أهتم بك وأطبخ طعامك وأغسل ملابسك . وأقيم لك ليالي بأجواء رومانسية فحتى أمك دائما كانت تتباهي وتفتخر بكوني زوجة أبنها .

أنجرف رغماً عنه مع نوبة انفعالها فقال:
- أبداً لم تكن الرومانسية في يوم من الأيام مختزلة في بضعة شموع أو حفنة من وريقات الورود المتناثرة على الوسائد. .أنها تفاصيل سطحية ومادية. الرومانسية يا عزيزتي منتهى كلمة تاهت على الشفاه ..أفكار معلقة بحيرة ..زوابع وعواصف هائجة. .نظرات قلقة ..قلب يخفق....مجموعة أحاسيس لا يمكن لأية لغة احتوائها ، ولهذا نحن نستند على الأشياء الشفافة التي من الممكن أن تشرح وتبرر لنا مشاعرنا ..للأسف الشديد أنتِ تملكين مفهوم مغلوط عن الرومانسية .

قالت :
- أنا اتقرب أليك ولكنك تجرفني بعيدا عنك عجزت عن فهمك !!
ولأول مرة يتمادى غضبه إلى حد الصراخ في وجهها تاركاً ثقبا يمر من خلاله الهواء لروحه المحتقنة بكل ما كان يملك من وجع وقهر وذل ممسكا بكلتا كتفيها ، وهو يقول :
- قلة من الرجال من هم صريحين مع زوجاتهم وعلى طريقتي مرارا وتكرارا أخبرتك بأني بحاجة إلى امرأة أشعر بأنها تقرئني كلما نظرت إلى عيني ، تصغي إلى ما أقوله ، امرأة تبادلني أفكاري ، تناقشني وتجادلني ، امرأة تعشقني ، لا تقدمي لي حبك كأطعمة معلبة ، فأنت تدرجين في حياتنا وصفات تتلقينها من هنا وهناك ...أنا كل ما أطلبه منك أن تكون لك شخصيتك العفوية في علاقتنا .....بربك اخلعي عنك جلباب الامهات، صدقيني آخر شيء يبحث عنه رجل مثلي أم أخرى في امرأة يحبها .

أزاحت منتهى جسدها النحيل بعيدا عنه وقد بدأت كرات زجاجية مهشمة بالتجمع في عينيها والسقوط متدحرجة على خديها، وهي تصرخ بذل الخذلان ، يعتصرها الالم بكرامة أنثى مهدورة ، يوجعها الاحساس بروحها ألممزقة ،كان جليا أمامها بأن لحظة الحقيقة كلما تمادينا في تأجيلها يكون ظهورها أكثر تضخما واحتقانا .

وقفت بضعف وهي مترنحة وكأنها قد كبرت دهراُ كانت دموعها المنهمرة بغزارة تُعيقها عن رؤية ملامح وجهه بوضوح وألتي خمنت من تصاعد أنفاسه المسموعة بأنه كان غاضبا جدا . فلم يكن في غرفة نومهما سوى صوتان صوت الغضب . وصوت آخر وهو صوت الدموع .

كان كل شيء حولهما حزينا كئيبا . نظرت إلى لهب الشموع المتراقص والذي كانت حرارته تثير حزن الشموع لتتساقط دموعها هي أيضا وكأنها على غفلة كانت تجهز لنفسها من يواسيها ويشاركها حفلة الدموع .

مدت أصابع يديها بعصبية وهي تجهش بالبكاء دافعة بالشموع من على الارفف لتتناثر متساقطة على أرضية الغرفة الخشبية. ومضت خارجة مغلقة الباب خلفها .

الفصل السادس

جلست منتهى بكل انكسارها مع صديقتها ريم تحتسي قهوتها شاعرة بمرارتها تسري بين شفتيها وكأنها تتذوق طعم حياتها .

قالت ريم :
- خليه يولي مهما سويتي له ما يملي عيونه هذا واحد معقد أو يمكن شاف له شوفه .
قالت منتهى :– ما يكفي أني متحملة الغربة ويأااه وتاركة أهلي وديرتي على شانه !!
قالت ريم:- عيشي حياتك ترى الرجال كلهم ما يحبون الا المرة اللي تحقرهم !!
قالت منتهى :- ما في شيء ممكن ما سويته له !!
قالت ريم :- قلت لش الرجال يموتون في المرة الا ما تعطيهم وجه !! جربي طنشيه كم يوم !! قالت منتهى :-اخاف يطفش ويشوف له وحده غيري تعرفي احنا في ديرة انفتاح والبنات على افا من يشيل .
قالت ريم :

– يحمد ربه أنه خداش ولو يلف العالم كله ما يلاقي وحده تسوى ظفرش .

عندما تعشق فعينك تكذب ما تراه وعندما تكره فأذنك تصدق كل ما تسمع ، أو ربما نحن نستمع إلى ما يغذي هواجسنا وخيالاتنا لنثبت لأنفسنا بأننا لم نكن مخطئين منذ البداية .بعناد ملح وكبرياء مجروح قررت أن تجرب الوصفة الجديدة مع زوجها (التطنيش) و الذي كان على الجهة الأخرى يحاول أن ينطلق ليحدد ملامح مستقبله ككاتب ومؤلف .

وفي نفس المقهى كان يجدول أفكاره ويعيد صياغة بعض الجمل ألتي كتبها على عجل عندما تطرقه فكرة فتقف برهة على عتبات ذاكرته قبل أن تلوذ بالفرار، كان مسترسلاً في ترتيب أحداث روايته ، أحس بالزهو وهو ينهي فصله الأول بنجاح.

أخذه شعور بالنشوة وتمنى أن يشاطره أحدا بإنجازه ، كان سمير في رحلة عمل خارج الاقليم وكانت منتهى في رحلة (تطنيش) وعلى ما يبدو لم يكن يهمها مشروعه الكتابي الجديد .

فلقد رأى في عينيها نظرات توحي بالاستخفاف والتسخيف حينما أخبرها برغبته ، وعاتبته بأنه لا يملك الوقت الكافي لها فكيف يجده للكتابة !!!

وقفت صورة لارا منتصبة في رأسه متذكرا كلامها ، مستفيق على فكرة طرأته بأن أكثر الكلمات جرحاً هي الكلمات التي توقظنا وكأننا بحاجة إلى أصوات مدوية لندرك عمق غفلتنا .إذا كان موقع لارا من حياتي مجرد مرور بمحاذاتها فأنا مُمتن لهذه الحياة التي كافئتني بمرور موجة دافئة على قلبي فقط لأتذكر بأنه لازال لهذا القلب القدرة على الأستدفاء .

وجالت في خاطرة عدة استفهامات .:

_((أنا اتسأل في أية رحلة هي أيضا؟؟))

_((أين هي الآن في هذا الوقت ؟ لابد أنها تستعد لتسهر في أحدى الملاهي الليلة مع أصحابها الشبان .))

فجأة اضاءت شاشة هاتفه النقال على اشارة تنبيه فقد كان على وضعية الصامت فهو لم يكن بحاجة للمزيد من المشتتات .فتحها بلا مبالاة كانت رسالة نصية من منتهى تخبره بأنها ستتناول العشاء و ستسهر مع صديقتها ريم . قلب شفتاه بامتعاض مزذرياً تصرفات منتهى الجديدة .

أغلق هاتفه ولملم خيبته حاملاً اوراقه ليهم بالرحيل فأضاءت شاشة هاتفه مرة أخرى بإشارة تنبيه أخرى لرسالة نصية جديدة .

فتحها وهو يزفر متململا . قراء الرسالة وألتي كان نصها :

_..((قل لي كلمة واحدة فقط....تعالي ..وسأكون بين يديك .))

أيعقل بأن يكون المرسل هو لارا!!؟

قرأ الاسم مرتين غير مصدق أنها لارا الزيات ، ما الذي سيقوله لامرأة اعتقد بأنها غادرته بدون نية الرجوع ، أكثر من اسبوعان قد مرا وهو ينازع ذاكرته ألتي كانت تشاكسه بها وتباغته بصورة وجهها .

كان يتجنب المرور بالأماكن ألتي يعرف يقيناً بأنها كانت تخزن رائحة مرورها فيها .

جلس مترامياً على نفس مقعده من جديد ، وهو يحدق إلى الرسالة النصية . وقد تدافعت أليه كل مشاعر الاشتياق ..

((أي مبدأ هذا الذي يجرم قلباً يذق همساً بحبك ، حتى لا يسمعه أحد. فهو مثقل بالشوق إلى حد ازدحام شرايينه بالكلام . فقد كانت دهشتي أكبر من كل فجائعي حينما قررتِ أن تهبيني حبك للمرة الثانية ، وأن تتخلي عن كبرياء اثقلني ، فأنا لا أعلم لماذا تمددت الساعات فجأة في غيابكِ))

شرع في كتابة رسالته النصية بطريقة آليه .:

((.كان الحب من التناقض ..بحيث أجدكِ في أكثر الزوايا عتمة وظلمة ..وفي أكثر المساحات توهجاً ..أنا انتظركِ في المقهى الذي ما عدت أنا !! بعدما جعلتني صدفة مزاجية مثلكِ اصطدم بكِ)) ..

.أغلق هاتفه ، تغمره السعادة وجلس ينتظر قدومها .

كان ينتظر وزوابع من الأفكار تعصف به :

:(أشياء كثيرة يحددها الانتظار، وأنا وأنت كنا ننتظر مرور الوقت ليحسم مشاعرنا ،أيعقل بأن تكوني متورطة بي كما أنا متورط بكِ ؟ ، ولكن الرسالة لم تكن تشبهكِ لم تكن كلماتها أنتِ، أيكون الحب قد شكل عجينتكِ مرة أخرى ؟ أتكون امرأة مثلكِ قابلة للتغيير من أجل رجل في نظركِ ، مجرد رجل يضيف إلى تجارب خبرتكِ الناضجة نقطة أخرى في رصيد مغامراتكِ ولكن الحب يظل دوما موضع شك أما الكره فمؤكد دوما .الحب زائف أما الكره فحقيقي)) .

فكر بأنه ربما يحب الهوى نفسه ويحب تجربته ربما هي أيضا كذلك . أن تكون منجرفا لشخص لا تعرف عنه الا القيل فهو غريب بالنسبة أليك ، أيمكن لشخص غريب احتلال ماضيك وحاضرك وأنت بكل ما فيك تتمنى بأن لا يمتد زحف احتلاله إلى مستقبلك .

كانت قطرات المطر المتساقطة في الخارج تجاري أفكاره وتطبطب على أكتاف المارين من خلف زجاج المقهى ، كان يتأمل الرصيف المبلل وكأن المطر لم يكن الا وليد التزاوج ما بين السماء والأرض، أنها دموع اشتياق ربما أو دموع افتراقهما ،غريبة هي مشاعرنا فهي تحتل أفكارنا وتجعلنا نرى الدنيا على حسب تقلباتها ..

أنتبه إلى امرأة تقترب مسرعة وهي ترفع بيدها مظلة فوق رأسها ومثبته باليد الأخرى هاتف محمول على أذنها كانت تتحدث بانفعال واضح على ملامحها وخيل أليه وكأنها كانت تبكي أجبره فضوله على مراقبتها، كانت متجه إلى نفس المقهى .

دفعت الباب ودخلت وقفت برهة تلملم ذاتها وتنفض انفعالها ، مسحت دموعها بأطراف اصابعها بحركة آلية مشت بضعة خطوات لتتخذ لنفسها مقعدا على مقربة منه ،وعلى الفور أخرجت مراءتها من حقيبتها لترمم ما افسدته دموعها ، ماسحة على وجهها وكأنها تخلع عنه قناع الحزن لتضع آخر أكثر بشاشة . ادارت رأسها بحنق منتبهة أليه يراقبها فأدار رأسه يداري خجله ، مصطنعا الانشغال في أوراقه .

وفي اثنائها اندفع الباب مرة أخرى وامرأة أخرى وقفت برهة لتغلق مظلتها وهي تجول بعينيها البلورية تبحث عن أحدهم ، أنها لارا ولكن لماذا كانت تبدو أقل صخبا وأكثر هدوء ، كانت أقرب إلى الذبول، وكأن موجة من الألم قد اجتاحتها .

توجهت إليه مقتربة بخطوات زاحفة وجلست في المقعد المواجه له .

اطرقت النظر أليه صامته تنتظر منه البدء في التحدث . كلمات كثيرة كانت على وشك الاندفاع من أعماقه ولكن كان لكبريائه الشرقي رأي آخر.

لاذا بالصمت المطبق وعيناه تحثها على الكلام وبعد فترة قررت لارا أن تمزق ستار الصمت الذي كان يحجبهما فقالت :
-أحيانا الحياة تأخذنا إلى حيث لا أحد يتوقع!!!

خذت نفسا لتتابع كلامها بينما كان هو مصرا على موقفه الصامت .

وأكملت لارا :
- أنا كنت عندما استيقظ أنفض غبار أحلامك عني وكل ما كنت أجيده منذ لحظة الاستيقاظ هو ترقبك وانتظارك وحتى انتظار تفاصيلك الصغيرة لو مرت صدفة ..
..كان ينظر إليها بنظرة تساؤل اربكتها وكأنه يطالبها بالمزيد من التبرير... إلى أي حد يود اذلالها ..أكملت تتابع حديثها وهي تشعر بأنها قد وضعت نفسها في مأزق مع رجل غريب، تراودها رغبة الانسحاب فكم شعرت بالمهانة وهي تساير رغبتها في لقائه وتشعر وكأن أشياء تسحق فيها وهي تستجديه لينصت إليها.
غريبة هي قلوبنا تعشق من يلتذ بطحنها وتهوى من يجيد اذلالها .
نظرت أليه مستميتة لتكمل ما ابتدأت وهي تهمس أليه :
– كنت أخاف كثيرا أن أتنفس وأنا افكر فيك أخاف أن يغص الهواء في صدري .
قال :
- امرأة مثلك لا يمتلكها شيء ولكني أرى الأن امرأة مهلهلة بأحاسيس مهلهلة أخاف أن تفاجئني الحقيقة يوما بأنني ماكنت يوما ولا دهرا في توقيت زمانك ولا كني كنت على هوامش المسافات الضائعة ما بين ثانية وثانية . فكل شيء حولي يخبرني بأنني ضائع في ساعتك العاطفية و كلما حاولت تسلق عقاربها انزلقت إلى الا نهاية والا مكان ، وتعثرت بمزاعمك العشقية ، أنت يا لارا امرأة متقلبة ومزاجية ، من الصعب على رجلاً مثلي أن يحتوي امرأة مثلك ...
نظرت أليه بأستياء تغالب دموع قهرها تعض على كلماتها وقالت :
– تقض مضاجعنا أوجاعنا ، والآمنا ، وأنيننا المكتوم ، وحنين مبهم لا نعرف لمن هو ومن أين أتى ، زخم ذكريات تباغتني من أعمق نقطة في ذاكرتي ....ماذا لو وجد أحدهم نفسه مسجون في زمن ليس زمنه ..لا أملك إحساسي لا أملك أن أدفعك عن مخيلتي أينما حللت هربا منك فأنك تطفو على سطح ذاكرتي. .طلبتُ رؤيتك لأني لا أريد أن أحسم احساسي نحوك ....الم تشتاق ألي ؟ لماذا لم تفكر ولو لمرة أن تطلبني بالهاتف ؟
قال :
- أجل أنا اشتقتك ! ولكننا مختلفان يا لارا لحد التناقض ،لا يكفي بأن تحبيني وأن أحبك ، للحياة حسابات مختلفة تماما عن حسابات مشاعرنا هنالك أشياء تترتب على بقائك معي .
قالت : - أي نوع من الاشياء ؟ صدقني فأنا أفضل الاحساس بالحسرة من فقدان شخص أحبه على أن أعيش تحت شروطه .

قال:
- أنا لا أضع أية شروط أنا فقط أتحدث معك بعقلانية تناسب عمرينا ، لا أحب أن أترك لنفسي يوما لأندم فيه على قرارات كنت أملك الحرية في الا أتخذها .

قالت :

_برأيك احساسنا بالحب قرارا نتخذه؟؟؟ !!!
قال :- نعم هو قرار نتخذه .
قالت :- اذا أنا قد قررت أن أحبك مرة أخرى.

مدت يدها لتسحب اصابع يده لتضمهم بيدها الأخرى،،، كم اشتاق لدفئهما افتقدهما كثيرا نظر أليها بعينيه مداريا مشاعره خائفا بأن تفلت منه وتفضح اشتياقه.

وقال في نفسه :

((كيف لهذا القلب القدرة على الارتداد بهذه السرعة ، ما عهدتك يا قلبي سريع الارتماء هكذا في حضن امرأة تجيد لعبة لي الكلمات لتصبح على مقاييسها ، كم تلفظني انانيتكِ حينما تأتي كلماتك ملحة على كبريائكِ ..كم أنتِ رائعة ..وكم أنا مغفل ..._كانت تبحث عن نفسها في عينيه_ لكم أكره طريقتك في قراءة عينيي ، أكرهكِ عندما تري استسلامي وضعفي فكم مرة خانتني عيناي معكِ وباحت لكِ رغماً عني)).

التقطته من بحر النظرات تسأله مشيرة إلى رزمة اوراقه :
– ما لذي تكتبه ؟

أجابها بملامح تقطر زهوٌ منتشي بإنجازه :
– أنها روايتي ....في الحقيقة أنه الفصل الأول من روايتي .

وبصوت منفعل وبملامح الدهشة الممزوجة بالانتصار والفرح و بابتسامة خبيثة أكتست شفتاها بادرته بالقول :

- ولماذا قررت فجأة أن تغير رأيك ؟ ألا تخاف من أن يقتحم الناس حياتك الخاصة ؟
أتعلمين بأن كلماتك ايقظتني فعندما أعدت النظر إلى الموضوع أدركت بأنه من العار أن أخجل من بواطني وأن أتبرئ من خطوط أفكاري ، فأنا لا أسرق ولا أزيف .

قالت:

- أحقا أنت واثق من هذه الخطوة ؟ فأنت مسؤول عن حزمة أفكارك ألتي ستمررها إلى مجتمعك من خلال صفحات روايتك.

قال:
- ما سأمرره من نظريات فكرية سيكون مجرد ناتج نهائيا لمعادلة تفاعلي مع هذا المجتمع من عدة أوجه ومحاور.
قالت:

- هل اخترت أسما لروايتك ؟
قال:

- طقوس حب مزيف .
قالت :

- أتمنى الا أكون من الهمتك لهذا العنوان فغالبا ما تظهر حياة الكاتب الخاصة في كتاباته ،أما بطريقة واضحة أو تكون مُمررة بطريقة مخفية ما بين السطور .
- اطمئني فأنا لا أشير أليك أو إلى أية امرأة أخرى من واقع الحياة أنها مجرد أفكار تفرزها مخيلة كاتب .

ما الذي تودين أن تأكليه فإذا لم يكن لديك مانع فأنا أود كثيرا إكمال ما تبقى من اليوم هنا وبرفقتك .

جالت منتهى بخاطره لوهلة وهو يحدث نفسه :

((لابد أنها تستمتع بوقتها))

بينما كانت لارا ترمقه من خلال النافذة ألتي كانت تضع أكواب القهوة أمامهما بنظراتها متسائلة بحيرة ما الذي خطفه منها .

فقالت :- ألن تعود باكرا إلى منزلك حيث زوجتك؟؟
قلب شفتاه بمرارة واضحة وهو يهز رأسه نافيا . مما أثار فضولها . ولكن كيف تجبر شخص على البوح وهو لا يرغب بالتحدث وهي كانت تعلم بغريزة أنثى بأنه حالما تستحوذ امرأة على قلب رجل فأنه يهبها صلاحية مطلقة بالتوغل في دهاليز أعماقه لتتجول ما بين شرائحه العاطفية وطبقاته الفكرية ، فمن عند نقطة الاستحواذ فقط تنطلق كل مآسينا وأحزآننا و أوجاعنا وكأبتنا. وأكثرنا حماقة من يترك أبواب مملكته مفتوحة بدون حراسة لمن نعرف باليقين المطلق بأنهم سيشعلون الحرائق ويخلفون الخرائب خلفهم ويرحلون ،فقلب الرجل دائما كان معركة المرأة الأولى .

مغيراً أتجاه عجلة حوارهما إلى أتجاه اكثر ارتياحا قائلاً:
-عن ماذا تدور تفاصيل روايتك يا لارا ؟؟

فقالت:
- عن الحب والجنس والغواية !!

شرعت تتحدث بلهفة عن الشخصية المحورية في روايتها ...أنثى مثلها ولكن بنكهة آخرى وفي قالب آخر ملمحه له بجرأة واضحة في أن تكون تلك الأنثى ذات يوم .

قال:
- أتعلمين بأنكِ لوكنتِ في زمن آخر ومكان آخر لأحرقوكِ كما كانوا يحرقون الساحرات قديما أو ربما رجموكِ كما ترجم الزانيات .

قالت:
- الغواية في أن أكون نفسي لا تمت للغواية بصلة فأنا أشتهي أفكاري وأشتهي أن أكون أنا!!
نظر إليها بنظرة استغراب مستنكراً كلامها .

فقال:
- هنالك فرق في أن تطرحي الجنس في روايتكِ بصورة مهذبة ولبقة أو أنكِ تطرحينه بتحريض من عنادكِ فقط لأنه تابو.. فنحن نناقش الأفكار والقضايا ولا نتحداها .
سألها: - لماذا لم تتزوجي ؟
أجابت :- ولماذا أنت لم تنجب اطفال ؟؟
ضحك من مغزى سؤالها فأجابها ...
- سؤالي لم يكن بدافع الاتهام ولا علاقة له بموضوع روايتكِ فأنتِ لازلتِ صغيرة.. أنا أتسآل فقط ....أنه سؤال منفصل تماما .
قالت:

- أنا لم اتزوج لأني للآن لست مستعدة لأن ألغيني !!! فالزواج في مجتمعنا ذو التركيبة الشرقية لا ينجح الا إذا كان الرجل هو محور حياة المرأة !!وأنا يا سيدي محور حياتي !!

قال:
- ولكن هنالك زوجات قطعوا مضمار النجاح ركضاً وهم يحملون أطفالهم على أكتافهم ممسكين بأيدي أزواجهن .

قالت :
- وأين هن هؤلاء النسوة الآتي تتحدث عنهن ؟؟ فأنا لم أرآهن لا يكفيني أن أسمع عنهن فلا بذ لي من مقابلتهن شخصيا لأقتنع بوجودهن .فلا تصدق كل ما تقرأه عيناك ، وتسمعه أذناك الم تقل لي مرة عن مرشحاتك الفكرية .

قال :
- - هنالك رجال يستقطعون من ذواتهم ليكملوا زوجاتهم وهنالك رجال يلغونها تماما فقط ليشعروا بوجودهم في مقابل اختفاء حضورها فهذا منوط بذكاء المرأة في اختيار من سيسندها إما لتصعد أو يستند عليها ليصعد هو.

قالت :
- - أنت رجل متناقض وأفكارك متوحدة !!أنا أسفة ولكنك تأكد ماكنت أقوله !!فأنت تنفي صعود الأثنان في وقت واحد !إما هو!! وإما هي !! أي نوع من الرجال أنت ؟؟؟

قال:
- - أنا رجل معطاء ولكن ليس على حساب طموحي في الحقيقة يبدو لي الآن من نقاشنا بأني رجل أناني فلقد تركت منتهى كل شيء هناك في بلادها لتجاريني في طموحي . قالت لارا:
- - أحقا هي تجاريك في طموحك ؟؟؟ أنا أعرف بأنه في أية بيئة خانقة تقل فيها فرصة النساء يعتبر الزواج والانفلات من قيود مجتمع لا مبرر لها من خلال سفر ابتعاث

فرصة لانطلاقة جديدة ، وخطوة لصعود سلم التغيير، هذا فيما لو كانت الزوجة ذكية خصوصا إذا لم يكن هنالك اطفال يعيقون تحركاتها .

طافت في رأسه صور عديدة لمواقف منتهى السلبية معه مزدريا ذاكرته فبدأ الاستياء واضحا في ملامح وجهه ضغطت لارا على اصابع يديه وقد انحنت قليلاً باتجاهه لتمتص استيائه بعدما قرأت في عينيه بشفافية واضحة هموم قفزت من أعماق صدره إلى صفحة جبينه نظر إليها شاعرا بها تحاول اختراقه وأسقاط كل شيء من قلبه بمن فيهم منتهى، منتبه لرغبتها الملحة في أن تستفرد بقلبه..... مخيفة هي المرأة التي تجيد ترجمتك من خلال أذق خلجاتك......مخيفة هي المرأة ألتي تتظاهر بالاستماع إلى كلامك بينما هي تنصت لأحاديث قلبك .....مخيفة هي تلك المرأة التي تعرف على أي جانب تمدد روحك مستلقية بإغفائه لذيذة في كفها ...لماذا تتفرد بعض النساء عن غيرهن بصهر أكثر الرجال صلابة وقسوة مع أنهن بنات لأم واحدة ..أيعقل بأن تكون حواء قد أنجبت سلالتين من فصيلة الاناث .

قالت :

- _أنت تتهمني بالتناقض ولكنك أيضا شخص متناقض !!عفوا! فأنا لا أتهمك بالازدواجية ولكنك تحمل أفكار متضاربة !!

قال:

- - هذا صحيح فأنا أشعر أحيانا بهذا التناقض وهذا أمرا طبيعي ،فبالنسبة لأي شخص احتضنته بيئة محدودة فكريا وسارت طفولته ما بين أزقة مجتمع تحرضه قيوده على العصيان أكثر من الطاعة ربما لشخص مثلي دواخله متمردة ..وعندما تبدأ بيادر البلوغ بالظهور تتسع مساحة التحرك فتمتد اصابعك لكل شيء يثير تساؤلاتك ...اقصد كل شيء قد تتصادم معه ليشبع فضولك ...فأنا مثلا كل ما قرأت للمثقفين الغربين والعربين كنت أتشرب بسرعة ماكنت اقرأه وحالما يبد أ بالتسرب إلى دواخلي والتوغل في أعماقي إلى حيث تتمركز قواعدي الفكرية المحلية المترسبة بعناد لا تقبل للإزاحة يبدأ تفاعل تناقض الأفكار والتي كلما حاولت الإصلاح والتقريب فيما بينها عبثا احاول ...باختصار من الطبيعي أن نكون متناقضين نوعا ما طالما نحن نملك في داخلنا نزعات فكرية مزدوجة ....

.تنهد بعمق وهو يتذكر مراهقته عندما كان يقرأ بشغف أحدى الروايات الرومنسية مستلذا بزخم الأحاسيس ألتي كانت تتولد لديه في أثناء قرأته وفور انتهائه منها كان يقض انتشائه بأن ما كان يفعله لم يكن مستحبا ما كان من المفترض أن يقرأ ما قد قرأه كان دائما يتصور نفسه لص يسرق ...انتشلته لارا من هاوية أفكاره السحيقة مبتسمة تضحك من استيائه ...وقالت :

– هون عليك يبدو أنك قد تماديت في ذاكرتك ..لا تمعن في التحليل كثيرا أنها ببساطة ضريبة الأبداع ....فأنا قد قرأت مرة عن إحدى المؤتمرات ألتي أقيمت في

مدينة (لنس) في النمسا وألتي كان موضوعها (الأمراض النفسية والفنون واللغة) فقد كان المؤتمر يربط ما بين الفنون وصفات مرض الانفصام والازدواج في الشخصية وفي أحد الأبحاث اعلن عالم أمريكي كبير بأنه لا يوجد أديب ليست له عبارات تدل على الجنون ...فهنالك لقاء قوي بين العقل والجنون ولكن بصورة فنية جميلة بليغة * قال: - كنت أتهم نفسي بالتناقض وها أنت تتهميني بالجنون يا لارا !!! لا أدري أي الاتهامات أكثرها فداحة ؟؟؟؟

قالت :

- صدقني أنه التناقض فالجنون واضح وصريح وينطلق مندفعا في اتجاه واحد غير مباليا بما يقف في طريقه ولكن التناقض مخفي وملتوي يسلك انعطافات كثيرة تخدم رغباته الملتوية !!

كان مخطوفا بكلام لارا مبهورا باندفاعها واسترسالها الواثق في سردها المعلومات غير منتبه للوقت الذي مر بسرعة نظر.

إلى ساعته وهو يفكر في منتهى فرفع هاتفه النقال ليلقي نظرة على سجل المكالمات ولكنه لم يجد أية مكالمة مسجلة باسمها أيعقل بأن منتهى لازالت بالخارج تسهر مع صديقتها ريم ، غمره احساس بالتوتر وخزه ضميره لأنه لم يفكر في الاتصال بها دافعا مقعده للخلف وفي نيته المغادرة على عجل ، ولكن لارا نظرت أليه وهي ملقية برأسها على كتفها الأيمن وقد مالت خصلات شعرها متساقطة بكثافة على جانب كتفها مبرزة تقوس استدارة خدها الناصع الشهي وهي تلح عليه بنظراتها للبقاء وقد قلبت شفتها السفلى بامتعاض ..

قال:

- أنا سأغادر الأن سأكمل الحديث معك مرة أخرى ..فقد كان نقاشا شيقا ...إلى اللقاء .
وقفت بجانبه لتهم بالمغادرة هي أيضا مدت يدها فصافحته بحرارة شاعرا برغبتها الجارفة لتحتضنه فلا يوجد لغة أكثر وضوحا من جسد امرأة عاشقة تكتنفها عاصفة من الرغبات .

بنظرة واحدة فقط كانت كافيه لترسل أليه كل أغاني الاشتياق وقصائد الحب وملاحم العشق الاسطورية مخلدة في عينيها ......

دائما ما تكون لحظة الافتراق هي اللحظة الأثمن والتي تتكثف فيها مشاعرنا ... تمنى لو يعيد متاريس الساعة الزمنية إلى الخلف ليجلس فقط بمواجهة عينيها يفك طلاسم سحرها ويرمي كل ادرعته الحربية ويتركها مستسلما تغزوا اراضيه وتشعل النيران في أكثر قلاعه حصانة وكأنها قد كانت تخبأ كل ذخائرها الحربية لهذه اللحظة ...ملمة هي بسياسية المحتلين .

حدث نفسه:

((..أخاف أن تكون هذه اللحظة ليست الا المعركة الأولى من خطتك الحربية لأسقاط أكثر شعاراتي علو و توحيل أكثر مبادئي لمعانا ...أحمق أنا أن تركت امرأة تختزل مشاق سنيني

في لحظة واحدة ...أحمق أنا أن تركتها تنفثني وتنشرني متطايرا ككومة ريش بنفخة واحدة .))

...ترك يدها متصنعا الصمم عن صراخ اشتياقها المتعالي وترجل خارجا من المقهى وفي صدره زوابع متداخلة من احاسيسه تحدث ومضات من الشرار كلما تصادمت محتكة ببعضها فأما أن ينقسم ليصبح رجلين بنصفي قلب واحد يعيش التناقض الذي يمقته ، وأما أن يعيش رجل واحدا مشتعلا بحرائق لا تنطفئ

.____

كانت منتهى تجلس على المقعد الأمامي لسيارة ريم حيث كانت تقلها راجعة بها إلى منزلها كان جسدها متعب وقلبها منهك ومشاعرها مرتبكة ......صعبة هي اللحظات ألتي تمر علينا عندما نكون بحاجة لمن يرتب فوضى دواخلنا ، وعندما نعجز عن أتخاذ القرار في التخلي عن من كان يحسن ترتيب خزائن أوجاعنا حتى لا تتساقط من أرففها، عندما تغرينا الذكرى في فتح أبوابها .

كانت منتهى خلال السهرة تفكر فيه هو فلم تمر لحظة واحدة بدون أن يتجول في مخيلتها فكأن لإحساسنا بذل الاشتياق طريقة فريدة في تتبع أثرنا للحاق بنا أينما كنا.... غريبة هي مشاعرنا فلها حسابات أخرى للمسافات خارج اعتباراتنا ..

.كانت تحدق إلى المارين على الرصيف من خلال نافدتها ألتي ترشح بللاّ بقطرات المطر شاعرة بالغثيان من مشاعرها، وبالضيق من حزام تنورتها ، الذي كان يضغط على معدتها تململت في مقعدها وهي تشاهد ثنائي يمشيان متأبطين دراعيهما مسندين رأسيهما على أكتاف بعضهما .. طافت سحابة من الدموع في عينيها وهي تتذكر غضبه واستيائه منها ، مستفيقة على خواء موحش بداخلها من اختفائه من تفاصيل يومها الحافل.

فمنذ استيقاظها وهي مفزوعة من صورتها المنعكسة في المرآءة ، وهي تتأمل بقع الهالات السوداء تحت عينيها والخطوط الدقيقة على جانبي فمها وكأنها قد تقدمت سنوات من عمرها وهي نائمة .

أيعقل بأن يكون الحزن له هذه القدرة في التلاعب بأعمارنا وتمديد سنوات شيخوختنا . رفعت هاتفها النقال لتلقي نظرة على سجل المكالمات ولكنها لم تجد أية مكالمة مسجلة باسمه أحست بالخذلان يتسلقها ، عاتبت نفسها بكم هي أنانية لأنها لم تتصل به ..لابد أنه قد خلد للنوم منذ ساعات ... طرقتها حاجة ملحة في أن تستميله إليها من جديد ..فبدأت بترتيب أفكارها ووضع خططها .

فقالت لنفسها :((لوكنت فقط أجيد حساب معادلة البعد والاقتراب !!!..))

..وصل إلى المنزل قبلها فأندفع إلى داخل الردهة ووقف يحدق في المكان لم يكن هنالك ألا أكوام الظلام المكدس فوق الظلام أدار مفتاح الضوء وتوجه إلى المطبخ عابرا الممر ما بين مكتبه وغرفة المعيشة ولكنه لم يجد غير الظلام ، سوى ابريق مصابيح الشارع المنعكس على سطح الصحون من خلال نافدة المطبخ والمستلقية بسكينة و هدوء في سلة الصحون تحدق إليه بدهشة. أحس بقلبه يقرع كالطبول من شدة الخوف وتوجه مسرعا بسيقان مهتزة وأقدام مرتبكة إلى غرفة النوم .ادار مفتاح الضوء ولكن الفراش كان خاليا ينضح ببرودة الوحدة يشتكي ألم الهجران .

وقف مصعوقا وركض من خلال الممر إلى الردهة حيث ترك هاتفه النقال بجانب مفتاحه ومحفظته على سطح رف المدخل بأصابعه المرتجفة أمسك الهاتف يحاول دفع ريقه في حلقه

المتيبس غاصا به ،تتقاذفه أسوأ الاحتمالات فمنتهى لا تتأخر عادة في الخارج . أستدار مقبض الباب وظهرت منتهى من خلفه ودهشت حال رؤيته وتنفس الصعداء حين راها .

كان جبينه متعرقا وهو يحاول استجماع نفسه ولململة أفكاره فبادرته بالسؤال...
– لماذا أنت متوتر هكذا ؟ ثم أني اعتقدت بأنك قد خلدت مبكرا للنوم في فراشك ؟؟

كان صامتا يتأملها يحاول أن يحجب خوفه عليها .

فقال:
–أنا لم أنم ، فأنا قد وصلت لتوي وتعجبت لأنكِ لم تكوني موجودة في المنزل ؟؟ أنت لم تخبريني بنيتكِ في التأخر ؟ أنا فقط قلقت عليكِ ؟؟

قالت فرحة:
- أحقا ما تقول بأنك قد قلقت علي !!

قال:
- ولماذا أنتِ مستغربة ؟ تبدين جميلة جدا يا سيدتي يعجبني فستانكِ !!
استدارت منتهى دورة كاملة وهي تضحك بزهو وهو كان يتأملها بنظرات تملئها الأعجاب كان واقفا متكأ على الرف فأحس بتخدر قدمية فأقترح عليها الجلوس معه قليلا في غرفة المعيشة ليستمع منها تفاصيل السهرة فتوجهت مسرعة إلى غرفة المطبخ لتحضير فنجان قهوة سريع وهو قد سبقها إلى غرفة المعيشة .

جلس ملقيا برزمة أوراقه وأطرق يفكر في نفسه ويستحضر صورته وهو يركض في أرجاء المنزل وهو يفتش عن منتهى وكأنه طفل قد أستفاق على أحد كوابيس أحلامه المزعجة مذعورا يبحث عن أمه.

تخيل حياته بضعة لحظات بدون أن تكون منتهى متواجدة فيها . دخلت منتهى ووضعت على المنضدة فنجان القهوة أمامه وجلست بجانبه وهي تنظر إلى حزمة الاوراق المرتبة في الملف متذكرة ما كانت تحدث به نفسها في سيارة ريم قبل وصولها من أنها لابد وأن تخطو خطوة باتجاهه .

فقالت :
– ما هذا؟ أهي أطروحتك عن شاعرك العراقي ؟؟أم هي أحدى مقالاتك الجديدة ؟
قال:- لا ..في الحقيقة أنها الفصل الأول من روايتي
قالت:- اووه روايتك !! منذ متى قررت البدء في مشروعك ؟؟ فأنت لم تخبرني ؟؟
قال:- ها أنا أخبرك فأنت ِأول من يعلم بها .
كان يبدو الاستياء على وجهها واضحاً وكأن الفكرة لم تعجبها فقالت:
- أتمنى ألا يكون في نيتك سرد حياتنا الخاصة فيها !!فأنت تعلم بما قد يقوله الناس في مجتمعنا عنها !أنت تعلم أليس كذلك ؟ثم هل ستنشرها باسمك الحقيقي ؟ أم ستستخدم أسم حركي مثلا ؟؟
قال :-ولماذا أسرد حياتنا الخاصة ؟؟ بربك !!

وضع فنجان القهوة في جانب وازدرأه في الجانب الآخر. ونهض متوجها إلى فراشه ليمدد تعبه وإنهاكه عليه .واضعا على وسادته رأسا مثقل بهموم ما عاد على ما يبدو يتسع لها .وتبعته منتهى لتتمدد بجانبه وغفت سريعا من التعب .

أنسحب مستلا من فراشه من خلال أشواقه المتصاعدة والمتهافتة على روحه متوجها إلى غرفة المعيشة جلس بخفه يتناثر منها الحماس وأمسك جهاز الكومبيوتر المحمول وفتحه وشرع ببدء عميلة التشغيل بأصابع ترتجف من اللهفة منتظرا أن تضيء الشاشة .

كان الوقت يمر زاحفا معاندا .مرر أصابع يديه بنفاذ صبر على جبينه المتعرق إلى أن اضاءت روحه وانفرجت أساريره بإضاءة الشاشة . ولج إلى برنامج الشات متمنيا بيأس يعتصره القلق بأن تكون لارا (on line) .

وعندما كانت الاشارة على الجانب الآخر لأسمها مضاءة غمرته الفرحة كطفل يفتح صندوق اليانصيب لأول مرة وقد رقص قلبه كمراهق يخطفه انبهاره الأول. تملكه التردد ولكنه قرر أن يضرب بتردده عرض حائط همومه متحديا تأرجح احساسه نحوها .

فعندما يكون ضماد جراحك بيد أحدهم من الحماقة أن تفضل استمرار نزفك لتدنو من خط الموت فقط لتستخدم حفنة مبادئك كعكاز تتكئ عليه في حالة أن نجوت وأكملت بقية حياتك معاق عاطفيا بمشاعر عرجاء .

بادرها الحديث: – إلى من تتحدثين ؟
قالت له :-كنت أتحدث إلى بعض الاصدقاء ..وأنت لما أنت لست نائما بجانب زوجتك ؟؟
قال :- اشتقتك !!!
لارا:- ....
قال: – كنت أقلب أفكاري والغريب أنكِ كنتِ موجودة في كل صفحة منها !! وفجأة قامت لارا بتشغيل كاميرا الشات فظهرت صورتها .

كانت مستلقية بوضعية التمدد على ما يبدو في سريرها متكئه على وسادة بيضاء وقد برز من تحت خصلات شعرها الكستنائي الخيط الدقيق الأخضر لقميص نومها ومساحة شاسعة من جلد صدرها الأبيض الشفاف. كانت تبتسم أليه بشفاه باهته . وقد كست رموش عيناها مسحة نعاس متطفلة وشهية.

كانت مطرقة تنتظره يتحدث وكأنها تلميذة مستعدة للأصغاء في يومها المدرسي الأول .

كانت عيناه قد تاهت وهي تتجول في وجهها كتيه صبي صغير في حقل ممتد من الأعشاب الطويلة لا يعرف إلى أين يتجه ، وعند أية نقطة يقف .

أحس بخطوات منتهى الثقيلة البطيئة تقترب منه عابرة الممر فدخلت غرفة المعيشة المظلمة وكان وجهه يشع بضوء شاشة الكومبيوتر المنعكس عليه فأغلق صفحة الشات بحركة خاطفة وفتح صفحة أخرى تحوي أحدى مقالاته المدونة منذ زمن .وقفت مندهشة من استيقاظه في هذا الوقت المتأخر من الليل فأدار شاشة الكومبيوتر لتواجهها مشيرا إلى مقاله

**الذي أرقه وسرق النوم من عينيه . فأدركت منتهى بغريزة أنثى بأنه يخفي عنها أمرا ما !!
أتكون امرأة أخرى ؟؟؟ نفضت الأفكار عن رأسها بسرعة *فمئة فكرة لا تشكل دليل واحد ،**

الفصل الأخير

أستيقظ على خبر تناقلته المواقع الالكترونية المحلية أفجعه وزلزله وفاة الشاب سمير البغدادي العراقي أثر حادث سير في طريق عودته من رحلة العمل إلى أحدى الأقاليم .

أحس بشيء يقصم ظهره من الداخل وهيأ أليه بأنه قد سمع صوت أشياء تتكسر محدثة دويا فوضوي بداخله مشوشة على أفكاره وسخونة ملتهبة تصلب جفونه بغيوم متزاحمة من الدموع تزحلقت على خده مندفعة لتلامس أطراف شفتاه .

كان مشوشا لدرجة أنه كان يفكر بالطعم المالح لدموعه وكيف أن الله تعالى قد خلق ثلاثة أطعمة مختلفة في منطقة واحدة وهي الوجه *كم نحن محظوظون لأن أغلب الناس ليست لديها القدرة على قراءة أفكارنا ففي أغلب المواقف الصعبة دائما ما تمر افكار تافه كتلك الأفكار ربما خجل عقولنا من أدراك الموقف. أو ربما هي أفكار تخديريه مؤقتة .

أزاح عن جسمه منشفة الحمام بعصبية وهو يحاول تمالك نفسه وتمالك أفكاره ، أرتدى ملابسه بسرعة وتوجه خارجا وفي طريقه ، أخبر منتهى بالخبر فصعقت وظلت تتمتم بأدعية وآيات قرآنية ، وقد تجمعت الدموع حزينة في عينيها .

خرج متوجها إلى الجامعة والدنيا لم تعد كما كانت فقد كانت السماء مظلمة وكأن الشمس مختبئة تجفف دموعها بالغيوم تداري حزنها معلنة حدادها .كانت الأرصفة حزينة والطرقات كئيبة (أنا غريب وقد جبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد مسقط رأسي ولا لقيت من يعرفني ولا من يسمع بي)*كان يعزي حزنه ووحدته بما يمر على رأسه من جمل تستحضره فقد أصبحت الوحدة والغربة تنطبق عليه تماما بعد رحيل سمير.

فكر في نفسه : ((كان صديقي الوحيد هنا أو ربما كان صديقي الوحيد أبدا))

أستيقظ على هذه الفكرة بأنه لم يكن من قبل قد أعتاد على أن يبوح بأوجاعه لأحد غير سمير. أنتشله صوت هاتفه المحمول كانت لارا هي المتصلة .

قال لنفسه :

((فلابد بأنها تنتظرني في الحديقة حيث مقعدنا على ضفاف الكينغز بارك))

أجابها بصوته المخنوق الحزين:

– أهلا لارا .

قالت :_ شوبك صوتك متغير هيك !!!

قال: _ صديقي الوحيد سمير توفي في حادث سير .

قالت :

- الله يرحموا؟؟ مستحيل أخليك لوحدك أنا جايي لعندك هلأ!! .أنت وين راح تكون ؟؟

أغلق الهاتف وغير مسار سيارته منعطفا إلى الشارع المؤدي إلى أحدى المطاعم حيث قرر الالتقاء بلارا هناك ليضع راحة كفيها أسفل عيونه ليجمع دموعه فيهما بدون أن يتملكه الاحساس بحاجته لتبرير دموعه ، ونشر خارطة مشاعره ليشرح حزنه لها....

ما ألذ البوح على صدرك .

.وما أجمل الحب في حضورك .

.ودموعي حزني تعانق يديك .

..شهيا هو البكاء في حضنك ..

..مغرية الكآبة وأنا بقربك ..

.أريد أن أتكور كالجنين في عينيك .

..أحتاج أن ألتحف بدفأ خصلات شعرك .

.لأنام ما بين ضمة شفتيك

كان مطعم للوجبات السريعة يفتح عند ساعات الصباح الأولى يقدم وجبات الافطار للزبائن
جلس إلى أحد المقاعد الطويلة المتصلة خلف أحدى الطاولات المستطيلة .وأمسك بقائمة
الطعام في انتظار قدوم لارا .وكان صوت المغنية البلجيكية -لارا فابيان – يملئ خواء المطعم
بكلمات أغنية je suis mon cour تثير حزنه وشجن أوجاعه وكأن كل شيء في هذا اليوم
قد توحد مع أعماقه. كان يستمع إلى كلماتها مطرقا متأملا لكم لهذه المغنية القدرة الغريبة
وكأنها بضربة سحر واحدة تتقمص مشاعرنا :

أخشى ان تذهب مره اخرى
نحن نذهب مرة أخرى
أنا قلبي
أخشى أن تنسى
حقيقتي السيئة
كما الانتقام
عدم وجود الرحمة مرة أخرى
حوالي الساعة الواحدة بعد المساء
عندما يذهب غسق السماء

حتى لو كان يزعج حياتي
الحس السليم
لا أستطيع
أن تكون على هذا النحو

كنت أعود مرة أخرى اليك وأذهب
وما زلت أعتقد في الحظ
أن الاستسلام للوضع مؤلم
على الرغم من أنني أخشى ، أنا قلبي ترك دائما وحيدا

أنفاسي في قلب من العدم
حيث الحب هو الغرق

أخشى الخوف من
الصمت العميق
أخشى صوتك
غير مستجيب

أخشى أن الثقة الغادرة
والجهل

على الجدار لماذا ؟؟

كنت أعود مرة أخرى اليك واذهب
وما زلت اعتقد في الحظ
أن الاستسلام للوضع متعب
على الرغم من أنني أخشى ، أنت قلبي

أخشى
نذهب مرة أخرى للسعادة بدون امل .

دخلت لارا متلفتة وهي تبحث عنه وهي ترتدي حذائها الرياضي بخطوات واثقة توجهت أليه وانضمت للجلوس بجانبه قريبة للالتصاق بجسده .

أمسكت بقائمة الطعام بأصابعها الرشيقة وقررت أن تتناول شريحة خبز محمصة وفنجان قهوة بالحليب ولكنه أكتفى بفنجان قهوة سوداء . تحدثت أليه مواسية له وأنفساها الساخنة تلهب رقبته ورائحة عطرها تمتد متشعبة في شرايينه .

قالت: – أتعلم يا حبيبي بأننا نخطئ كثيرا حينما نعتقد بأن الموت هو حق على غيرنا وأنه بعيد تماما عنا نحن مخطئون جدا .
قال:- أنه صديقي الوحيد يا لارا !! أتفهمين ماذا يعني أن تفقدي الشخص الوحيد الذي تسند عليه أوجاعك ، وحزنك في حياتك ...هذا الشخص يصبح أشبه بالكنز بالنسبة لرجل مثلي يعيش غربتين !!!

كان يستمع إلى نفسه غير مصدق ما يقوله وكأن موت الأحبة تجعل أوجاعنا السرية وأحزاننا المكتومة تطفو على السطح .كان يبدو كشخص يتقيأ نفسه ...

. كانت لارا تنصت أليه وهي تحدق في صفحة وجهه، ممسكة بيديه كان يشعر بنفسه كالعصفور الصغير المبلل في كفها ، وأكمل يتابع، تسيره رغبته الملحة في البوح فقال :

_منذ قدومنا هنا إلى استراليا أنا ومنتهى كنا وحيدين جدا فلقد كنت اشعر بالتيه .وكانت تراودني دائما فكرة الرجوع من حيث أتيت. كان شهر كانون قارسا ومتجمدا، وكانت منتهى زوجتي لا تقل برودة عن برودة شتاء كانون . كانت متفانية أجل!! ولكنها أخفقت في أحتوائي يا لارا .لم أفهم لماذا هي لا تجيد احتضان أوجاعي .

.قطع حديثه المحموم حضور النادلة وهي تحمل صينية تحوي طلباتهم وضعتها على الطاولة ومن ثم انصرفت فتناول فنجان قهوته بأصابعه فأرتشف القليل من سخونتها علها تبث الدفء في صدره المثلج بدموع جمدتها أحزانه العتيقة .

صمت قليلا وتابع : _ كيف تفهم شخص ما بضرورة حاجتك للتقدم نحوه بينما هو يلح في أقناعك بالتراجع والتدحرج خلفه ..زفر زفرة وهو يقول : _هنالك علاقات لا يمكنها الاستمرار الا عند التوقف عند خطوط محددة .

قالت له وهي تمرر بأصابعها على خصلات شعره الرطبة من أثر تبللها بقطرات المطر الخفيفة المتساقطة في الخارج :

_أنت رجل حكيم حتى في حزنك .

لاحت ابتسامة ساخرة على حافة شفتيه فقال :

-الحزن يا لارا بدائي .عندما يحل في صدرك فأنه يزيح الحكمة منه .فللحزن حضور يلغي معه كل شيء ويحقر بوجوده كل مبادئنا العظيمة .

درف دموعه رغم عنه .كانت لارا تجلس بقربه فاستدارت لتواجه فأخذت تمرر بأصابعها على وجنتيه ،وطافت شفتاها على وجهه ،تقبله بكل كيانها من جبينه وعينيه، ووجنتيه .كان يشعر بسخونتهما تزحف إلى شفتاه . فأرتعش ارتعاشه خفيفة .أزاح بها جسده المرتجف حزنا وهو يفكر في ضعفه ،و كيف ترك اسوار قلعته الحصينة هكذا بدون حراسة ..كيف أرتمى بكله فجأة في حضن امرأة يذرف دموعه كطفل . تذكر ما قاله لزوجته منتهى :اخلعي عنك جلباب الأمهات !!

أتتشكل الأمومة في النساء باختلاف أحضانهن ؟؟ أخذ يقنع نفسه وسط زخم مشاعره كنت بحاجة لأبكي في حضن قلب يعشقني ،وليس في حضن آخر يشفق على ضعفي .

مسح دموعه الساخنة بأطراف اصابعه وأطرق قليلاً ليكمل حديثه معها :

– سأفتقده كثيرا ،سأفتقد رائحة بغداد فيه ورائحة السياب ونظرات الحزن اليتيمة والتائهة في عينيه ..سأفتقد سحابات الدخان ألتي ينفثها من سيجارته وهو جالس في ذلك المقهى .يعتريني ..خواء مخيف وبارد في داخلي عندما أفكر بأنه وحيد تماما فبمن سأعزيه ..أنه وحيد مثلي ..كنا نتقاسم عزلتنا ..كان عزائي الوحيد هنا .
قالت :- سأكون دائما هنا لأجلك أعدك أنا أحبك ويؤلمني حزنك .
قال:– هنا أين ؟؟ على أي رصيف حزن ؟؟ ومنذ متى أنت هنا لأجلي ؟؟
قالت :- على أرصفة معتقة بالشوق كنت بانتظارك وفي زمن تحمل رياحه أطراف أناتك وآهاتك كنت أقف على أطراف لهفتي بانتظارك ..
قال:- أحقا أنتِ تحبينني أم أن هذا الكلام مجرد بضعة أشياء من هذيان كاتبة ؟؟

أدارت رأسها بغضب عنه ليظهر جانب وجهها وقد برزت استقامة أنفها المغرور، و أرتفاع شفتها العليا المتعجرفة . فقالت له من بين انفعالاتها :

_الرتابة شيء ..الحب شيء ..الغيرة شيء ..كلها أشياء ..فاذا تاهت مشاعرنا ما بين الأشياء يصبح من الجنون محاسبتها

قال:– أهذا يعني بأنكِ تحبيني فعلا ؟؟ أنا لا استجديك يا لارا فقط أنا لا أريد أن أبحر معك إلى وجهة مبهمة . أدارت وجهها أليه مرة أخرى وقالت :
:_منذ أن التقاك قلبي بات يهددني بالهجران والاقامة في صدرك مغترباً عني وضيفاً ثقيلا عليك .

وضعت فنجان قهوتها على فكرة استحوذتها
قالت:– تعال معي !
قال:-إلى أين ؟؟
قالت:-إلى أكثر الأماكن التي أحبها !!

وعلى الفور طلبت فاتورة الحساب وأخرجت من حقيبتها بضعة دولارات وألقتها على الطاولة وثم أمسكت بيده ورفعتها بحيوية .وهوكان ينظر أليها باستغراب واقفا على حافة أكثر المشاعر تطرفا وإجحافا ..الحزن ...الوحدة ..الدهشة ...

قادته إلى سيارتها المركونة وقالت :
– من الأفضل كثيرا أن نذهب بسيارتي فأنت متعب وأنا أحفظ طرقات المنطقة أكثر منك !

كان صامتا.... صعد إلى سيارتها وجلس على مقعدها الأمامي الجلدي وأنطلق تاركا خلفه سيارته ..وأشياء أخرى..
قالت :- رحلتنا قد تستغرق اليوم بأكمله فلذا من الأفضل أن تخبر زوجتك حتى لا تقلق عليك ..لم يفكر حتى في مناقشتها أو حتى أن يسألها عن وجهتهم .مستسلما لحزنه تاركا نفسه على جبهة بلا حماية لغزواتها ..بحركة آلية أخرج هاتفه وطلب رقم منتهى و من خلف صوت الهواء المتحرك وموسيقي فيروز تناهى أليها صوته الحزين المنهك ....
قالت منتهى :– هل أنت بخير ؟
قال :- سأغيب اليوم بطوله يا منتهى لذا أرجوك لا تنتظريني أو تقلقي في حال أن تأخرت
قالت منتهى :– ولماذا ؟ هل أنت على ما يرام ؟؟
قال:- أجل أنا بخير يا منتهى . فقط أنا سأذهب برحلة حداد مع بعض الزملاء !!! أعني أشخاص قد عرفوا سمير من قبل ....
قالت منتهى:– او!... هكذا أذن أتمنى أن تتحسن حالتك !... حفظك الله
أغلق الهاتف وهو مندهش من نفسه كيف أستطاع أن يكذب بهذه السهولة ..ولكنه كان يكذب منذ أشهر على نفسه .. فما أسهل أن يصدقك الأخرين عندما تكذب عليهم ،، فقط حينما تقنع نفسك أولاً بتصديق أكاذيبك... ..

ألتفت إلى لارا التي كانت تمسك مقود سيارتها بيد وتعبث بخصلات شعرها المتطاير باليد الأخرى يتأمل شرودها وسرحانها ...كانت جميلة في ثرثرتها ...وساحرة في صمتها ..كان يحدق إلى شفتاها المتعجرفة والمطبقة إلى أن استدارت أليه مبتسمة بعد أن هبطت من كوكبها ..الواقع في أحدى مجرات الحنين .

قالت لارا:-أعجبني تعبيرك ..رحلة حداد ! .....

كان يتأمل الشارع فقال :
- إلى أين نحن متوجهين الأن ؟؟
قالت لارا:-سنذهب أولا إلى شقتي . لن نطيل البقاء هناك سأستحم سريعا ..

دقائق معدودة بعدها وقفت السيارة أمام بناية صغيرة وقد صفت أصص عدة لنباتات بشكل منظم من على الجانبين .

سبقته صامتة نحو بوابة البناية الحديدية المقفلة . وقف بجانبها صامتا يتأملها وهي تحشر المفتاح في القفل لتديره فاتحة الباب ، مشيرة له بالدخول .كانت تمشي مسرعة على عجل بعدما فضلت تسلق السلالم وهي تقفز راكضة على عتباتها بخفة ورشاقة .حاول مجاراتها ولكنه وصل لاهث متقطع الأنفاس إلى الدور الثاني . انعطفت قليلا إلى اليمين متوجهة إلى باب أخر مقفل فتحته بحركة آلية بمفتاح أخر من بين حزمة مفاتيح تمسكه بأصابع يديها ....

.فعلى ما يبدو....فقد أصبحت لدينا نزعة أحكام أقفال كل الاشياء بالمفاتيح ..... .حتى احاسيسنا في صدورنا ...بتنا نحكم قفلها بمفاتيح التوخي والحذر فما عدنا نأتمن علينا من كل ما حولنا !. وقفت إلى جانب الباب تحفزه بنظرة مفعمة بالزهو للدخول ..وكأنها ممتنة لقبوله دعوتها ليحتفل بباقي تفاصيل حياتها .

قالت :- تفضل أرجوك ألي !..إلى حياتي !! ..

. فالأماكن بطريقة غريبة تبوح عن أشخاصها ... فهي تفضح على الأغلب نزعات ساكنيها وميولهم الفكرية وعادتهم اليومية ..أشياء يحبونها .. أشياء أدمنوها ...أشياء تؤلمهم ..وأخرى تثير لديهم الحزن والبكاء ..دخل بخطوات متلعثمة وبأقدام مترددة إلى حياة لارا .. إلى شقتها .كان أول ما لمحه ضوء الشمس المنتشر في أرجاء الشقة من خلال نوافذها المفتوحة وألتي قد أزيحت ستائرها.. تركته لارا واقفا في ذهوله متوجهة إلى الداخل. وهي تقول :
– خذ راحتك .. ما راح أتأخر ...

كان يراقبها بفضول من خلال فتحة الباب الموارب .. وهي تتحرك بسرعة في داخل غرفة نومها متنقلة ما بين الأدراج ،عابرة سريرها مرارا وهي تهمهم بأغنية بصوت متقطع الأنفاس كان يحاول أن يميز الأغنية من بين أرشيف الأغنيات ألتي كان يحفظها في ذاكرته .. أختفى صوتها خلف باب الحمام الذي أغلقته خلفها ومن خلال صوت رذاذ الماء المتساقط كان يمعن التأمل في سريرها بكل تفاصيله، بدء من كومة الوسائد الناصعة البياض المرتبة فوق غطاء من القطن الأبيض المطرز على حوافه بخيوط دقيقة من الصوف الأحمر لأشكال ورود مختلفة القابع فوق أرضية من الرخام الأبيض ، وقد تزاحمت مخيلته بصور عدة ..

((من غير الممكن بأن أكون أنا أول المارين من هنا ...فبتأكيد هنالك من تجاوز هذه البقعة التي أقف فوقها ببضعة خطوات إلى الداخل ...))

قال لنفسه:

((مغفل أن ظننت بأن امرأة مثل لارا كانت تنتظرك كعذراء مسجونة في برج قلعة الساحرة)) ..شعر بمرارة تعتصر قلبه وبدأت معدته توجعه.. فأزاح رأسه نافض عنه خيالاته ، فأخذ يطوف في شقتها ويتأمل تفاصيلها ..شقة أنثوية جدا تفوح منها رائحه النظافة ...كأكثر الروائح نفاذا ..كان أثاثها مفعما بالبساطة والأناقة وأصص النباتات الصغيرة المتدلية من حوافها الأوراق الخضراء ، منتشرة بشكل مرتب في أرجاء المكان ..أريكة بوسائد وثيرة طوي فوقها بعناية لحاف صوفي قرمزي اللون ،ومنضدة خشبية صغيرة بجانبها ،وموضوع فوقها كتاب وقد برزت من داخله عدة صفحات من الكتاب ، أقترب بعيون فاحصة ، كان كتاب الرجال من المريخ والنساء من الزهرة للكاتب د. جون غراي الدليل الرائع لفهم الجنس الأخر ..فكر بأنه .. ..امرأة نهمة للكتب لابد وأنها تقرأه للمرة ليست الأولى أنه من الكتب القديمة ..بالتأكيد هنالك أمر طارئ جعلها تخرجه من أرفف مكتبتها لتقرأه ..شخص أستجد في حياتها ..

((قد أكون أنا مثلا ..؟؟؟)) تداركته نزعة من الغرور نفضها على الفور ..أنها حقا تجيد الاحتفال بحياتها ..نظر إلى مكتبتها بأرففها الطويلة المليئة بالكتب و قطع الشموع الصغيرة المتناثرة . واستقرت نظراته إلى منضدة خشبية أخرى في أحدى الزوايا على سطحها صف من الصور العائلية المؤطرة. أخذ يتأمل الصور كشخص يسترق النظر إلى حياة أحدهم .

كانت الصور في أغلبها تظهر لارا واقفة بجانب العديد من الأشخاص على ما يبدو بأنهم أفراد عائلتها... والداها ..جداها ..فتيات بأعمار مختلفة وبعض الشبان كان الشبه واضح فيما بينهم ..وأحدى هؤلاء الفتيات تلك التي كانت ترافقها في المقهى ..يبدون سعداء جدا ..ويجيدون الاستمتاع بحياتهم ..

أبتسم بمرارة وهو يقارن ما بين صورة والدتها المتألقة المفعمة شبابا وحيوية وبهجة ..الناضحة بأناقة أزياء كبار المصممين ، وصورة والدته النائمة في مخيلته وقد أنهكتها الحياة ففضلت الاختباء تحت طيات النسيان ...أتكون الحياة قد أحاطت البعض بأسباب محفزة للسعادة ...أو تكون قد وهبت لهم النزعة الداخلية ليكونوا مبتهجين مهما كانت ظروفهم ......ففي كلا الحالتين أنها هبة من الحياة ..

ومن خلفه أستدار منتبه لوجود خزانة خلف الباب الرئيسي تحتضن معاطفها الشتوية ومظلة وحيدة معلقة ..أيعقل بأن يكون قلبه لا زال ينام في جيب معطفها ..فكرة مجنونة حفزته ليذهب مقتربا يبحث عنه بخطوات بلهاء تقدم وأمسك بإحدى معاطفها . فأجفل فجأة على صوت لارا مستفهما يناديه :

– ما الذي تفعله هناك؟؟

أحمر وجهه خجلاً ..أيعقل بأن يسيره جنونه إلى هذا الحد ؟!!

تجمدت الكلمات في فمه فأستدار مبتسما يداري خجله :
قال :_ لقد انتهيتِ بسرعة ! ضحكت مبتسمة ببشاشة منتبهة إلى إجفاله :
قالت :ـ أجل أستغرقني الوقت ربع ساعة فقط ،أخبرتك بأنني لن أتأخر.
قالت:- هيا بنا لنخرج فأمامنا يوم حافل !
قال:- أشعر بالعطش أحتاج أن أشرب كوب ماء .
قالت:ـ حسنا انتظرني هنا ...

ذهبت إلى مطبخها الصغير متململة وعادت أليه مسرعة تحمل بيدها كأس من الماء الشفاف وقفت تنتظره يشرب بنفاذ صبر ...شخص مثلها لم يعتد تلقي أوامر من أحد ...ولا تحب على ما يبدوا أن يشاركها أحد في أشيائها .أخذت من يده الكاس وبسرعة أعادته إلى مكانه وهمت ممسكة بيده للخروج ...
قال:ـ على الأقل أود أن أعرف الى أين ستأخذينني ؟؟
قالت:- إلى بحيرة سوان ! ..
قال:- إحساسي بالسعادة معك غريب !! وسط زحمة مشاعر الحزن ؟؟
قالت :-أحيانا يولد فينا الحزن طاقة غريبة ،وقدرة رهيبة لمقاومة الألم والوجع !! ورغبة عميقة وشرسة لحب الحياة ..فحينما يكون الحزن وحده عاريا من كل أقمصة الغضب والشفقة والهزيمة ..يصبح أكسير الأبداع والتوق الا متناهي لإشباع نهم الشفافية المتدفقة من فجوة مخيفة في أرواحنا ..
قال:ـ أنا كان وما زال الحزن اكسيري وشرابي الخرافي الذي يصدع روحي بالكتابة لحد الثمالة ...كم هو مخلص ومتفاني هو ..صديقي الحزن .

.نظرت لارا أليه من خلال خصلات شعرها المتطايرة فرمقته بنظرة أن أكمل ،،

قال:- دورانك المستمر يسبب الذوخان اللذيذ ..وأشيائك المجنونة تربكني شوقا !! يقولون بأن لكل شيء حد ..ولكني لا أعرف أين أقف بالتحديد فمعك لا توجد نقطة بدأ ولا نقطة نهاية .. كانت تتحدث وهي تهمس لنفسها مستبعدة أن يكون قد سمعها غاص في مقعده وقد تطايرت حمم من الغرور من براكين صدره فأمسك بيدها وقال :

- أنتِ من تسبقيني واضعة حروفك في بداية كل سطر جديد ..وأنا لا أملك الا ملاحقة الهوامش متوسلاً مساحة لتمديد ..

وأكمل ضاغطا على أصابع يديها قائلاً:

ـ لارا معك أنا على طبيعتي لا أشعر بحاجتي الملحة لنبش القواميس وفهرست تصرفاتي ...أنا أحبك !!
التمعت عيناها ونظرت أليه بصمت مطبق وكأنها تصيغ برأسها ما تود أن تقوله .

قالت لارا:

_جنون مستعر في صدري ورغبات متلاطمة من الاشتياق واللهفة ..كثبان من الشهوة تستميتك .وأنت لا تدري كم هو مؤلم أن ترفض امرأة كانت تعتقد بأن الحب هو أقصى ما نملك لنقدمه !!

فقال :- ولكني لم أرفضك ولم أتجاهل يوما أشتياقك !!
قالت :- أتعلم ؟؟ بأننا نشعر بالخذلان عندما ننتظر بكل ما فينا من شوق ولهفة شخص يحمل بنفس القدر كماً من الأنانية .. نشعر باغتصاب كرامتنا حينما تكون أيام انتظارنا مجرد ثواني في روزنامة من كنا نظن بأنهم ينتظروننا على الضفة الأخرى من الحب وعلى الجانب الآخر من التساؤلات والحيرة ..نشعر بالغضب لكبرياء سل جرحه بحد بلاهة من كنا نراهم أذكى الأذكياء .

..أبتلع ريقه وهو لا يعرف ماذا يقول لها ....كيف يبرر اصطناع الا مبالاة بنظراتها ..كيف يشرح لهفته المكابرة ...وشوقه الملح ...فهنالك أشياء في نظر الرجال تفقد قيمتها ويخبت بريقها عند الافصاح عنها .
قال:- لارا أنتِ امرأة ناضجة عاطفياً ...

قاطعته بحدة والدموع بدأت تتجمع في عينيها :
- أجل أنا امرأة تعشق رجلاً لا يراها ..لم أعتقد بأنني سأعيش يوما يُبكيني فيه رجل أذلني فقط لأنني أحببته ..

أوقفت سيارتها بعد أن انعطفت عن الشارع الرئيسي وحدقت أليه تطالبه المزيد من الشرح والتبرير وقالت :

_ لماذا ؟ أنت صامت الأن ؟؟ أشعر وكأنني ألهث حتى وأنا أجاري صمتك ..

قال:– أحيانا تكون مشاعرنا كصرخة طفل وليد تدوي في أرجاء المكان معلنة انتفاخ أوردته وشرايينه بأكسجين الحياة هكذا نحن .. ..
نعم هكذا أنا معكِ فمنذ أن ألتقيتكِ صرخ قلبي بكِ ..عرفت معها بأنني كنت متعسر في مخاض الحياة التي لم تلدني على ما يبدو حينما اعتقدت أمي بأنها أنجبتني .. الحياة نعيشها بيقين مطلق بقيمتها ولا نرهنها كلحظات تجارب ...الحياة ليست ضربة حظ أو مجموعة تخمينات ..أريد أن اعيشك يا لارا ..أريد أن أعيش الحياة ،فبك ولدتُ من جديد .... فبكِ فقط اكتشفت تلك الحقيقة المخيفة بأن لقلبي مشاعر كانت تحتضر كطفل وليد لتو ..مرفوع بالمقلوب كان يحتاج فقط لصفعة واحدة وقوية ليتدفق الهواء إلى رئتيه ..
قالت:- هنالك حكمة في عينيك تصلبني وتأسرني أشعر وكأنني أود لو أنشر جسدي كبدوية تائهة تحت حرائق الشمس لتصلبها حوافر خيول كبريائك الشرقي مرارا وتكرارا وهي تعبرني .

قال :
_أنا أحبك ...يا لارا ولكني لا أود بأن تكوني مجرد نزوة عابرة بشكل مؤقت في حياتي ....فأنا لم أكن يوما قد نظرت إليكِ بهذه الطريقة ..
.صمت مطبقا شفتيه وشردت عيناه تسرح في الافق
قالت لارا:– لك إطباقة شفتين تدوخني أشعر وكأنني أود لو أتسلقهما لأنام ممدة ملتحفة شفتك العليا .
قال:- أكثر ما يربكني بأنكِ امرأة أخرى في حياتي ...أنا رجل بقلب واحد ..لا أريد أن أعيش كشخص مقسوم بين امرأتين ونزعتين ورغبتين ...لا أريد أن اتسلل ليلا على أطراف أصابعي كاللصوص لأتحدث معكِ ..أو أسترق الوقت ما بين ثانيتين لأراك ...ففكرة الاغتسال من حب امرأة لتضاجع امرأة أخرى تثير اشمئزازي .
قالت: – كنت أقول بأنني امرأة استثنائية وامرأة استثنائية مثلي لا تدخل حيز الأرقام ....نعم أنا أقبل بأن أكون امرأة أخرى ...أو واحدة أخرى ما بين أخريات ..لأنني معك دائما سأكون استثنائية .
قال :– كلامك غير منطقي يا لارا .. هنالك حسابات خاطئة تسقط بشكل أخفاقات في أية علاقة !!!
قالت :-ولكني أحبك ..أنا أريدك تحت شروطك أنت ! تخيل بأنني بتُ أقدم التنازلات!!
قال:– لا يمكنك أن تصنف نفسك من فئة العشاق والمغرمين إذا كان لقلبك القدرة على اقتسام من تحبه مع أحدهم ...
قالت :- وماذا يكون إذا ؟؟ماذا تسميه ؟؟
قال:- لارا ...حساباتنا مختلفة تماما
قالت :– ما الذي تقصده ؟؟
قال:- لا أريد أن أعيش كذبة.
قالت:– ولكننا نتنفس الكذب في كل يوم .
قال:- ما بين كذبة وكذبة حقيقة ... وما بين حقيقة وحقيقة كذبة .
قالت:- أتعلم بأن كلمة مخدع (الفراش الزوجي) مشتقة من الخداع
قال:– إلى ماذا ترمين ؟؟
قالت:-أنت تعيش الكذب والخداع حتى مع زوجتك بينما أنت هنا معي متظاهرا بأنك مع مجموعة من الاصحاب !!

قالت لارا:-أنت تمارس الكذب معها ! فلماذا ترفض أن تمارسه معي ؟؟
قال:- قد طال وقوفنا هنا يا لارا ..أرجوكِ أنا بداخلي ما يكفي من المتناقضات ..فلا تمعني أكثر في تمزيقي ....لارا ....لارا ....صرخ بحدة... لارا .. ....
أدارت محرك السيارة تتمتم بعبارات لم يفهمها وهي تنفخ خصلة شعر سقطت على فمها

بعصبية .
قال:- ما الذي تقولينه ؟؟

متظاهرة بأنها لا تسمعه استرسلت في الغناء بصوت مرتفع وبشكل متناغم مع الموسيقى المتصاعدة من مذياع السيارة ....

وإلى أن نلتقي مرة أخرى أنه ليس وداعا
إلى أن أراك ثانية سأكون هنا
أتذكرك عندها واذا الوقت لصالحنا لن يكون هنالك دموع للبكاء
على أسفل الطريق هناك شيء واحد لا أستطيع أنكاره أنه ليس وداعا
أنت تعتقد بأنني سأكون قوية بما فيه الكفاية لأفعلها
وأرتفع فوق عندما يسقط المطر
لكنه صعب جدا لتكون قويا عندما تكون مشتاق لأحدهم ل فترة طويلة
هي فقط مسألة وقت ..أنا متأكدة لكن الوقت يأخذ وقتا وأنا لا أستطيع الصمود
لذا حاول بكل جهدك لوضع قلبي المكسور يلتأم ثانية ....

لحظات طويلة مرت ثقيلة وجاثمة فيما بينهم ولارا خطفت نفسها عنه إلى عالمها فهي لا تراه . هو كان يشعر وكأنه غير موجود ...وهي كانت امرأة تلعق جراحها أمام رجل أحترف تجاهلها .. ألتفتت وهي تنظر أليه بجفونها المنتفخة والمحمرة .
قالت :– لقد وصلنا !!
قال:- أكنت تبكين ؟؟ أم كنت تغنين ؟؟
قالت :- الأثنان !! ...

.سبقته بخطوات سريعة وخفيفة كعادتها وبطريقة تجره للحاق بها رغما عنه ....ساعات صاخبه مرت بمحاذاتهم وهم على ظهر أحدى المراكب العائمة كان للصمت حضورا ساحرا ..لا شيء أخر غير صوت هدير أمواج صفحة الماء الرقيقة الشفافة جلسا وكلا منهما يحدق إلى جراحه ونزعاته المتناقضة ..كان صمتهما ثرثارا ويملأ المركب ضجيجا كطفل شقي يعبث بدواخلهم ويبعثر مشاعرهم ويعيد لملمة فوضاه من جديد ..للصمت ايقاعاته الصاخبة ..فالصمت قوي ومخيف ...بليغ وحذر ..

متحديا صمتهم قرر أن يقفز الى مدارها مستسلما ..
قال:– أكثر مشاعرنا عمقا أكثرها إيقاعية .
قالت :- لكل منا طريقته في إظهار إيقاعية مشاعره ...!! أنت تكفر بعقيدة ..أقرأ عيناك ؟؟
قال:- أنا لا أكفر بعقائد يحترمها غيري ...أنا لا أومن بلغة العيون كما يسمونها ولا لست من أنصار نظرية الحب من أول نظرة ..
قالت :- ولكنك أحببتني من دون أن تعرفني ؟؟ فقط من نظرة .

قال:- الحب والعشق والوله والأعجاب ..التيه والصبابة ...كلها أشياء مختلفة ..ولا تحددها بضعة نظرات ....
لغة العيون ليست من الغيبيات يا لارا ...
قالت :- بلا... أنها كذلك .. لكي تبحر في عين أحدهم تحتاج إلى روح شفافة قادرة على اختراق الماديات .
قالت :- أتعلم بأنه يفوتك الكثير لأنك لا تؤمن بالغيبيات !
هل تعتقد بقراءة الكف والفنجان وورق الكوتشينة ؟؟؟
قال :- أنا لا أميل لغير المنطقيات !!
قالت :- سأخبرك بأمر قد يغير قناعاتك .
قال:- لا شيء قد يزيح بوصة واحدة من قناعاتي .
قالت:– على مهلك ...... هنالك امرأة من حيفا قد تنبئت بموت الرئيس أنور السادات في ذلك الوقت .أتعلم كيف ؟؟
قال:- كيف؟
قالت:- رصدت خطوط كفه عندما كان يلوح بيده لجماهيره ..أتصدق بأنها قد قرأت حتفه من كفه ؟؟

قال: - ربما فأنا أحاول أن أقف في المنتصف دائما ..ما بين بين ..لا أُكذب أمراً إذا لم أستطع تصديقه .
قالت:- أتعلم ....بأن امرأة قالت لي يوما بأن ولادة طفل جديد . هي حياة جديدة أني أتسأل عن نوع هذه الحياة ؟؟
قال:- قد تكون وجهة نظر منطقية وجدا سليمة ..فولادة طفل جديد هي ولادة أنثى جديدة بداخل كل امرأة
قالت:- وقد تكون ولادة طفل هي ولادة لامرأة حزينة ومكتئبة !

قالت لارا:

_ صحيح أن أنجاب طفل عمل يسترعي البهجة ولكن الا يمكن لنا التوقف قليلاً لهذه الأم الكئيبة المحبطة ...أحيانا أفكر وأتسأل ..هل كانت موجودة هذه المرأة الحزينة وبطريقة إخراج الروح الجديدة تخرج هي للوجود وكأنها كانت مسجونة وتنتظر انفتاح أية قناة في هذا الجسد لتنطلق وتعيث الفوضى ، وتبعثر ما كان من المفترض أن يكون حدث جميل إلى كارثة تجبرنا على عيش الحياة بنمط الطوارئ !
قال:

– لماذا أنتِ مأساوية هكذا ؟؟ أخبريني ألديكِ أطفال لم تخبريني عنهم ؟؟ قالها مازحا .
قالت :

- أنا ..لا .... كنت أفكر فقط في نسوة أعرفهن ..أني أسال نفسي أحيانا هل سأكون مثلهن ..؟؟ لا يوجد شيء أسوء بالنسبة لي من أن أعيش بتوقيت أحدهم ..لا أريد أن أستيقظ من

النوم يوماً وأنا لا أعرفني .
قال:-ولماذا هذا الموضوع بالذات الأن يشغل اهتمامك ؟؟

قالت:_ أنا امرأة وبالتأكيد هذا الموضوع يشغلني دائما ...أنا أسفة يبدو أنني قد انزلقت بأفكاري !!

قال:- هنالك نساء يزددن جمالا وأنوثة بالأمومة وأخريات يذبلن... اطمئني فأنا أعتقد بأنك من الصنف الأول .
قالت:– شكرا جدا ..... أنت رجل يجيد اختزال مخاوفي .
قال:– وأنتِ امرأة تجيد اختصار أحزانها.
قالت"- ولكني أشعر بالإخفاق معك ..وكأني واقفة على عتبات قلبك مطرودة منه .
قال:- أنتِ في داخل قلبي تلبسين طوق غار على رأسك وتمسكين بحمامة بيضاء تلوحين بشعارات السلام متظاهرة بالوداعة ولكنك في الحقيقة تشعلين الحرائق وتراكمين الخرائب .
قالت :- لا أعرف كيف أجعل رغباتي قطة أليفة تنام بصمت في حضنك .
قال:- أعترف بأني أعجز أحيانا عن فهمك وترجمتك .
قالت :- لأنك ترفض التوحد معي لأقصى نزواتي ..لأنك تقف عند حدودي المجوفة .
قال:- أنت لا تتقنين الا قالب الجنون لتقديمي حبك فيه وهذه هي مشكلتك يا لارا ..حساباتنا مختلفة تماما .
قالت:- أخاف أن استيقظ يوماً على حقيقة أنني أحب رجل لا يحمل في قلبه الا مشاعر مبهمة
قال :– أنظري إلى الكلمات ألتي تحتفل بحضوركِ في أفكاري كل يوم ..انظري إلى قصائدي ...فهل تريدين براهين أخرى على احتلالك لي ..أنا ممتلئ بكِ إلى درجة تشابككِ مع أفكاري
قالت:- تصور !! منذ أن ألتقيتك وأنا قد فقدت القدرة على مجاراة الحروف ..أنا أعاني بسببك أفضع الكوابيس بالنسبة لكاتب ..أنا ما عدت أقوى على الكتابة !!

لارا.!!......كانت شاردة تحدق في شخصان جالسان على مقربة منهما ..امرأة ورجل مواجهان لبعضهما ..كانا يحتضنان أيدي بعضهما في أكثر أوضاع الحب مثالية ..يضحكان همسا وكانت المرأة تطفو فوق أمواج السعادة عندما كان يناديها ...حبيبتي !! ..

.كان خاتم ذهبي في أحدى أصابع يدها يلتمع محدثا انعكاسات ضوئية قزحية ....طافت مسحة من الحيرة على وجهها وهي تتأمل يدها العارية الملقاة في حضنها ...كم سيطول عذابها معه ...أما أن تنسحب ململة بقايا امرأة كانت يوما تصرخ من فرط الشقاوة ....ولكنها الأن تئن من فرط الألم .؟؟.

أن من ينتزع رغبة الحياة من المرأة هو بقايا أثار رجل فيها المتمثلة في صورة طفل وليس الأمومة كما كانت تظن ...أنها طريقته في ختم حياتها بالشمع الأحمر ..بصمته أسفل صك امتلاكها...إلى هنا وكفى فرجلاً مثله يستنشق حزن النساء ..ويقتات من لوعة اشتياقهن له

.كان يتأمل تلون ملامحها بالاستياء ونظرات الكراهية والأزدرا تطفح من عينيها فنظر مستفهما واستدار إلى حيث كانت لارا تحدق فلاحت ابتسامة ماكرة على وجهه فقال لها مستفزا .....

– يقولون بأنك تقيس درجة الحب بالنسبة لعاشقين من طريقة التصاق أجسادهم عندما يجلسون قالت :- هل أحببت قبلا ؟..قبل زوجتك منتهى ؟

قال :- كان حبا صبيانا .....

قالت :- وهل التقيتما بعد زواجك ؟؟

قال:- ألتقيتها صدفة في أحد الاسواق ..وكان لقاء غريبا ومضحك لم أشعر بأي شيء ..كانت امرأة عادية ..

قالت :– ألم تشعر بأي شيء ؟؟؟......

قال :- شعرت بالحنين لزمن مضى ولشخص غيرت ملامح صباه السنين فأصبح رجلا يسكنه الحزن .

قالت :– عندما نفترق ..ونلتقي يوما ..يوما ما ......ما الذي ...؟؟؟

صمتت ما الذي ستقوله لرجل فقط يشتاق لنفسه !

قال :-عندما يحتلك أحدهم فأنه لا يغادرك يا لارا....... حتى لو ابتعدت عنه بجسدك .....فنحن نخدر أشواقنا فقط ...وعنما تضعف مناعتنا العاطفية بمرور عواصف الاشتياق المباغتة فأننا نصاب بحمى الحنين .

قالت :- تتحدث كخبير !! هل أنت مؤرخ في قصص العشق ؟؟

قال :- تجربة صادقة واحدة فقط تكفي لأن أكون خبيرا!! لست بحاجة للقفز من علاقة إلى أخرى !! ....لأفهم هذه الخلجات .

كانت يدها ترتجف من الغضب وهي تشعر بأنه يمعن في أذلالها وتهميشها ...وودت لو تلقي بصحن السلطة الذي كان يتناوله ليصفع وجهه .ولكنها افتعلت ابتسامة اغتصبت قهرها .

قال :

_وأنتِ يا لارا هل أحببتِ قبلاً ؟

قالت :- بالتأكيد ..فهنالك أشخاص مرو بحياتي وتركوا ورائهم ذكريات جميلة .

قال :- ولكن الحب لا يترك الا الخرائب .

قالت :- أني أتركهم فقط يمرون .....أنهم لا يتوغلون في حياتي ......

رفع حاجبيه مستفسرا :

- أنا امرأة لا تعيش بشروط أحد .... ولا تترك لأحد الفرصة ليعبث بمشاعرها..

.أتعلم ؟.....أنا أحتفظ على أحدى رفوفي ببرنامج إنقاذ وإعانة لمدة سبعة أيام !!..هذا البرنامج أحدى فصول كتاب يتضمن استراتيجيات معروفة لوقف الألم ...برنامج يمتد من الجمعة إلى الجمعة ، طريقة لتبدئي بمصادقة قلبك المعذب !!

- ما هو أسم كتابك المنقذ؟؟

- شفاء القلوب المعذبة للكاتبة سوزان بايفر
- هل تلجئين أليه دائما؟؟
قالت :- أتدري بأني لم أشعر بحاجتي أليه مطلقا ..ولكن الأن يبدو لي جليا بأنني بحاجته وأحمد الله بأنني أمتلك واحد مثله ! .....
.متجاهلا تلميحاتها أكمل تناول طعامه ....
قالت :- زوجتك محجبة ..!! هل هي ترتديه عن قناعة منها ؟ أم أنك تمارس سلطتك الشرقية عليها ؟؟
قال:- أنا لا أمارس سلطتي كشرقي على زوجتي كما يوحي لك حجابها ....أنها ترتديه بقناعة فكرية وعقائدية منها .
قالت :– قناعة فكرية !!؟؟
قال :- هذا الحجاب تضعه على شعرها وليس على عقلها !! أنه يحجب مفاتنها ولكنه لا يحجب تفكيرها ، وأنا فخور جدا بها ...أنها زوجتي ....وهذا يكفي ...
قالت :– وأنا ؟؟
قال:- أنتِ ماذا؟
قالت:- ماذا بالنسبة لك ؟؟ لست زوجة ولست حبيبية ...ولست ما بين بين
قال:- أنتِ من يحدد مكانكِ في حياتي ولستُ أنا ...أنظري إلى نفسكِ ..فأنتِ تمهدين إلى تركي قبل أن تحددي مكانكِ في حياتي ...على الأقل أنا واضح معكِ منذ البداية ..واذا كان الحب بالنسبة إليكِ هو أيديّ مُتعانقة وضحكات هامسة ... فأنا أسف جدا لأجلك .. ...لأني لا أحب الالتفاف حول الاشياء ..
قالت :– ولكنك تكتب أجمل الكلمات ؟؟ من المفترض أنك شخص مرهف الإحساس .
قال:- نحن على الورق مختلفون أحيانا...لا تعولي الكثير على الحروف الثمانية والعشرين يا لارا ..نحن الكتاب ككل الناس ......ولكننا نحاول أن نرى أبعد ...... ونسمع أعمق ....ونلمس أرق .....نحن نحاول فقط .

قال :_ما أجمل ما قال الأديب العظيم أوسكار وآيلد عندما عاب الناس على أحد عازفي البيانو، أنه لم يحسن العزف ..... فقال لا تلوموا العازف !....... أنه يبذل أقصى ما يستطيع وكلنا ذلك العازف..... وكلنا يعزف على أوتار نفسه ليسمعه ويراّه الأخرون ..
قالت :– أنا لم أكن أدري بأنك ستدق بابي واقفا خلفه على قدمي ألم ،وممسك بباقة من مفاجئات الحزن .
قال :- كنتُ أفتعل البراءة معكِ وكنتِ أنتِ تتصنعين الاحتراف ...ولكن حماقتنا كانت مطرقة الحسم وكان لقلبينا الكلمة الأخيرة ...فنحن لا نحتاج إلى المزيد من الكلمات لتفهمنا مشاعرنا ...
قالت :– فلننهض الأن فهنالك محطة أخرى سوف نرتادها ....
قال :- اسبقيني إلى السيارة ! سألحق بكِ ..

.كانت تقلب محطات الراديو عندما فتح باب السيارة جلس بجانبها واضعا دفتر صغير بحضنها ...
قال :- أنه لكِ ....اشتريته لتو..... مشيرا إلى كشك صغير.
قالت :- ما الذي سأفعله به ؟؟
قال: - حينما تعودين به إلى شقتك الجميلة أفتحي أول صفحة منه ...فقط أبدئي بالتركيز على احساسك ..وسوف تتدفق الكلمات من جديد ..أنتِ كاتبة ...والكاتب لا يجف حبره مادام قلبه ينبض ..لا تكتبي بالحبر يا لارا ...أكتبي بدماء قلبكِ ..
.قالت :- تصور أن دفترك الصغير هذا قد أعاد ترتيب الفوضى بداخلي ...أنت رجلا تجيد بعثرتي ...ولملمتي من جديد ...أي جنون هذا الذي افقد الجنون عقله !! قالت:-أي جنون هذا الذي يسكنكِ .... وتغارين من أحاديثي أليكِ عنكِ.
..تصوري بأنك شخصان ......أحدهما أنتِ معي ولأخر وهو أنتِ هناك في بعد أخر
قالت :–أكنتَ تقصدني بكلامك ...؟؟؟
قال:- الحب مذل ...الشوق مذل ..الغيرة مذلة !!
قالت :- الغيرة هي احساسنا المفجع من أن نفقد من نحب ..الغيرة ضريبة الحب ....الغيرة كهف نخبئ فيه أخطاءنا باسم الحب ....
قال :-.الغيرة مساحة نفرز فيها حمم خوفنا
قالت :- نحن نجتاح الأخر ونحتله ...ونعرف يقينا بأنه غارق حد الاختناق بنا ولكننا نترك تيارات الغيرة تمرجحنا وكأن الغيرة طريقتنا لنقول للأخر شكرا على حبك .

على الطريق الطويل الممتد إلى جبل لورين كانت الأشجار المورقة تشق طريقها عبر الصخور وكانت لارا تتحدث عن طفولتها بينما كان هو مطرقا يصغي إلى لهفتها في سرد قصصها الشيقة و الشقية بعدما عقدا هدنة مع الصمت لما تبقى من اليوم جلسا حول طاولة في أحد المقاهي لتناول القهوة كان المكان مزدحما قليلا بالناس ..

.وبينما كانت لارا ممسكة بهاتفها تتحدث إلى أحدى العاملات في المعرض دخلت فتاة عشرينية صارخة الجمال بحضور جاذب وجسم مثير كانت الرقاب قد التوت خلفها والرؤوس قد استدارت إليها...كانت لارا تتبع نظراته ألتي كانت تحدق إلى الفتاة المثيرة ...فرمقته بابتسامة رخامية .
قالت :

– أنها جميلة اليس كذلك ؟؟ ...هل تريد مني أن أذهب إليها وأخذ منها رقم هاتفها لأجلك
- أبتسم .وقال _...أنها فتاة جميلة فقط ...أأنتِ تغارين ؟؟
قالت :- أنا ...بالتأكيد ..أنا لا أغار.
قال :– هذا جيد ...فأنا في الغرام يتوه احساسي والغيرة تخطف أنفاسي ...لا أخجل من غيرتي لأجل شخص يحبه قلبي !! ......
بعد أسبوع من اليوم سوف أعود مسافرا مع منتهى إلى ديارنا كإجازة مؤقته ...سنبقى شهر هناك ..فحفل زواج أخت منتهى ندى سوف يقام بعد شهر من الان...

قالت :-ولماذا تخبرني بقرار اتخذته مسبقا مع زوجتك ؟؟ قالت له منفعلة .... من وسط دموعها المكابرة مخلة بهدنة عقدتها معه مسبقا ...

أنا لم اعتد أن أنتظر أحد ...لا أجيد ضبط ساعتي على توقيت رجل !

قال :– كان بحوزتي مدونة مختلفة للانتظار لا تخضع لقانون الساعات والدقائق عندما كنت أنتظر مرورك بمحاذاتي ....يا لارا .

قالت :– أتدري بأنني لا أغار عليك من الوجوه الجميلة .. ولا يمكن أن تكون الأصوات اللزجة جحيمي ...ولم تكن الاجساد الساخنة يوما كابوسي... فأنا أخاف أن يغفو قلبك عني يوما فيستحيل نسيانك إلى سبات شتوي .

قال :- ولماذا أنساك ؟؟

قالت :- لان الرجال ينسون دائما .

قال:– الرجل لا ينسى امرأة يحبها يا لارا.

ستظلين معي فأنت تسكنين أحشاء قلبي ..سأكتب لك الرسائل وسأنتظر بدوري رسائلك يوميا في صندوق بريدي الالكتروني واذا أتيحت لي الفرصة سأتحدث إليك ليال طويلة .

قالت :- ولكنك لا تؤمن بالعلاقات الرقمية !

قال :

- أرأيت؟؟؟ أنا قد بدأت أغير قناعاتي لأجلك ...ربما لأجل تهدئة أشواقي ألتي أعلم بأنها ستستعر في صدري عند الدقائق الأولى من مغادرة المطار وركوب الطيارة ...أسبوع يا لارا سأقضيه برفقتك بطوله سنرتاد المقاهي ...وسنمشي على الأرصفة ..تحت قطرات المطر ...سنمشي على شاطئ البحر لتغسل أقدامنا أمواجه المتدافعة ..سأقرأ لك القصائد كل ليلة ...وسوف أشتري رواية زوربا اليوناني لنقرأها سويا معا ..وسيغفو رأسك الصغير خدرا على صدري وأنا أداعب خصلات شعرك تحت ضوء الشمس ونحن مستلقيان تحت شجرة في أحدى الغابات .... هنالك بضعة أفلام على أرففك سنشاهدها سويا ..أنتِ ستكونين لي هذا الاسبوع وسأكون لكِ .. ....

كانت الشمس محمرة تنظر إليهم بحنان عند الغروب وكانت السحب تتثائب على أطراف السماء ...وكان حرائق الاشتياق تتصاعد كلما أقتربا من نقطة الافتراق .

أوقفت سيارتها إلى جانب سيارته حيث اوقفها خلف المطعم ...ترجل من سيارتها متثاقلا فقد كان يوما ...!!

عند رجوعه إلى المنزل كانت منتهى تنتظره بلهفة ..و عندما أقبل مندفعا بحيوية إلى الداخل ابتسمت وهي ممتنة في داخلها إلى وجود أصحابه الذين على ما يبدو.... قد أجادوا مواساته !! وفي الصباح كانت ملتقطة الهاتف بسعادة تغمرها وهي تتحدث إلى والدتها ...أتصدقين يا أمي يبدو بأن حدث الموت يذيب الجليد الذي يكسو القلوب ويلين أكثر المشاعر قساوة ..فلقد أحتضنني ليلة البارحة بحنان وقبلني في جبيني ووعدني بأنه سيكون لي أفضل زوج ....لقد أستجاب الله دعائي في أن يعود لي كما كان حنون وشغوف ....مر بجانبها وهو يهم بالخروج

مودعا ومشيراً إليها بأن ترسل سلامه إلى أمها ...
وبعد أسبوع كانت حقائب السفر قابعة في الردهة تنتظر من يقلها إلى المطار ..وكانت منتهى ملئ بمشاعر الحماس والاشتياق ..إلى رائحة الديار وكان هو أيضا قد أشتاق إلى دياره وبيته وإلى أمه وأخوته وأخته ...إلى أزقة ترامت طفولته ما بين جدرانها ...إلى سماء الوطن ...إلى هواء مثقل لحد التخمة بحبات الغبار ....ولكن رئتاه في صدره قد اشتاقت لهذه الرائحة ...... سبقته منتهى إلى سيارة الأجرة فوقف برهة خاطفة .نظر بلهفة إلى الرسالة النصية ......مضيئة تشع أشتياقا ...أتركني أترنح على نغمة من شفتيك ..أتركني كطفلة بين احضان الهذيان ..أتركني ملفوفة بقماط مزاجيتك ...أتركني معك....فقلبي معك كان دائما طفل صغير ...

هدى عبدالله آل بدر.

- من مواليد جزيرة تاروت 1980م.
- مقيمة في القطيف.
- حاصلة على بكالوريوس من قسم العلوم بجامعة الدمام.

فررت من زمن الكتابة.. أو ربما زمن الكتابة قد فر مني.. الناس في مدينتي تتناثر حروفهم حبات غبار على الورق.. كلماتهم لزجة.. قصائدهم رطبة.. ودائمًا يحملون في جيوبهم روايات متعرقة..

تصميم الغلاف: إيمان البحراني